جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

دراسات إسلامية
سلسلة تصدر
فى منتصف كل شهر عربى

العدد [٦١]

علوم القرآن فى الأندلس

حتى نهاية القرن السادس الهجرى

أ. د. محمود على مكى

القاهرة
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

دراسات إسلامية
سلسلة تصدر
فى منتصف كل شهر عربى

علوم القرآن فى الأندلس

حتى نهاية القرن السادس الهجرى

أ . د . محمود على مكى

العدد [٦١]

القاهرة

شعبان ١٤٢١هـ - نوفمبر ٢٠٠٠م

يشرف على إصدارها

الدكتور/ **محمود حمدى زقزوق**

وزير الأوقاف

ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الدكتور/ **عبدالصبور مرزوق**

نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

على سبيل التقديم

أ . د . عبد الصبور مرزوق
نائب رئيس
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

ما أن فرغت من قراءة أصول هذه الدراسة الموضوعية المتميزة عن « علوم القرآن بالأندلس » حتى امتلأ القلب شجنًا واغرورقت فى العين عبرات إذ ساءلتنى نفسى :

أرأيت ما فعل الأجداد حين استقبلوا الإسلام بالأندلس !!

وكيف بذلوا أقصى جهودهم فى حسن استقبال القرآن بداية فى التعرّف الدقيق على قراءاته بما يعلن عن حرصهم الشديد على كيفية التلاوة الصحيحة لكلمات القرآن ، كما أُنزل على رسول الله ﷺ باعتبار التلاوة هى المدخل الأول من الأسماع إلى القلوب ؛ فنشطت العناية بالقراءات ومباشرة تعليمها وتعلمها بصورة عملية آتت أكلها فى تطويع اللسان الأندلسى للانتقال من العجمة التى كانت غالبة عليه بتأثير تراتيل الكنيسة فنقلتها علوم القراءات إلى ترتيل القرآن .

* * *

ومن ثمّ تكون هذه العناية بفنون القراءات هى المدخل الأول والأكثر جذبًا لنقل الإنسان الأندلسى والمجتمع الأندلسى من

مناخ الكنيسة إلى مناخ المسجد . ثم شحن الوجدان بالمشاعر الإيمانية التى تهيئ العقل الأندلسى للتعامل بالقبول مع كل ما يأتى عن الإسلام من عقائد وعبادات ومعاملات وأحكام وآداب .

* * *

ثم كان الانتقال العلمى الثانى بعد الاهتمام بقراءات القرآن إلى الاهتمام بتفسير القرآن حيث ظهرت تفاسير كثيرة كانت فى مجملها متأثرة بتفاسير المشارقة وبقيت على هذا التأثر زمنًا غير قليل استحصدت فيه الملكات الأندلسية فأخذت فى المشاركة فى تفسير القرآن

* * *

فأولى محاولات التفسير لبعض آيات القرآن الكريم (فى الأندلس) كانت من جانب بعض التابعين الذين دخلوا الأندلس مع الطليعة الأولى من الفاتحين ، وكان لمناخ الجهاد الذى عاش فيه هؤلاء الفاتحون أثره على التفسير ، حيث يروى أن أحدهم ويسمى حنش بن عبد الله الصنعانى (ت ١٠٠هـ) كان يفسر قوله تعالى : ﴿ **الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار** ﴾[١] . بأنهم الذين ينفقون أموالهم فى علف الخيل (خيل الجهاد) وهو تفسير يتفق مع طبيعة دوره فى الجهاد فى سبيل الله [٢] .

---

(١) سورة البقرة : ٢٧٤ .

(٢) ص ٤٣ من هذه الدراسة .

ثم يأتى تفسير عبد الملك حبيب الألبيرى الذى يذكر أن تفسيره هذا جاء فى ستين كتاباً ، ثم تفسير إبراهيم بن حسين ابن مرتنيل القرطبى .

ثم جاء تفسير بَقِيّ بن مَخْلد القرطبى الذى كان قد رحل إلى المشرق وأقام فيه طويلاً يسمع عن مفسريه ومحدّثيه وعلمائه إضافة إلى كتابه الكبير فى الحديث النبوى الذى اعتبره الإمام ابن حزم فى طبقة البخارى ومسلم .

* * *

وعلى ذكر العناية بتفسير القرآن الكريم فى الأندلس تجدر الإشارة إلى أحد كتب التفسير المشرقية التى قدمت إلى الأندلس وهو كتاب الكشاف للزمخشرى صاحب الاتجاه المعتزلى الذى قوبل بالرفض فى زمن دولة الموحّدين وثار عليه الفقهاء المستمسكون بمذهب أهل السنة وعلى المذهب المالكى . والذين رفضوا هذا التفسير لمذهب صاحبه المعتزلى وبما يحويه من آراء مرفوضة حول ذات الله وصفاته .

ولكن الأمر تغيّر زمن ملوك الطوائف الذين كانوا يتسامحون شيئًا ما مع كل الأفكار الجديدة فأتيح لكتاب الزمخشرى فى عهدهم ما لم يتح له من قبل .

* * *

أما صاحب الدراسة فهو واحد من أبرز المعنيين بالأندلسيات بل لعله أن يكون أبرزهم . فقد عايشهم دهراً غير قليل تنفس فيه مناخ ثقافاتهم واهتماماتهم حتى أصبح يُعد كواحد من كبار مثقفيهم .

ومن ثم كان حرص المجلس على إسناد مراجعة ترجمة معانى القرآن الكريم إليه .

سائلين الله أن يجعل فى ميزان حسناته ما قدّم ويقدّم لمثقفى أمتنا .

والله وحده المسئول أن يرزقنا القبول وهو دائمًا حسبنا ..

أ . د . عبد الصبور مرزوق

تمهيد

****

لم تكد حروب الردة تنتهى فى السنة الحادية عشرة للهجرة حتى بدأ التحرش بدعوة الإسلام من جانب القوتين العظميين اللتين كانتا تحيطان بالجزيرة العربية ، وهما دولة الفرس الساسانيين ودولة الروم البيزنطيين . ولم يعد هناك مفر من وقوع الصدام الذى انتهى خلال سنوات قليلة بانهيار الدولة الساسانية واستيلاء المسلمين على العراق وفارس ، وعلى معظم ما كان خاضعاً للروم البيزنطيين فى بلاد الشام ومصر.

وأما الشمال الأفريقى فقد استغرقت فتوح العرب فيه نحو سبعين سنة بسبب المقاومة العنيفة التى واجهوها من البربر ، غير أنه لم يكد الحكم العربى يستقر فى البلاد حتى رسخت عقيدة الإسلام فى نفوس البربر ، بل إنهم أصبحوا لا يقلون حماسة فى الجهاد فى سبيل الإسلام عن إخوانهم العرب . ومن هنا كان دورهم المتميز فى فتح الأندلس الذى تم فى سنة ٩٢ للهجرة (٧١١م) على يد القائد البربرى **طارق بن زياد** ، ثم شاركه فى ملحمة الفتح **موسى بن نصير اللخمى** واستطاع الفاتحون المسلمون أن يتموا الاستيلاء على شبه جزيرة **إيبريا** خلال سنتين ، بل إن فتوحاتهم امتدت إلى ما وراء **جبال البرتات** فى شطر كبير من جنوب فرنسا .

وكانت القيم الجديدة التى قدمها الإسلام لأهل البلاد من عدالة ومساواة وتسامح هى التى جعلتهم يقبلون على الدين الجديد ، فيدخلون فيه أفواجاً . ومع الإسلام بدأ تعرّب أهل البلاد ، إذ كان تفهُّم القرآن الكريم واستيعاب معانيه يقتضى معرفة العربية والتمكن منها . غير أنه كان يقف فى سبيل التعرُّب السريع عاملان رئيسيان : الأول بُعد الأندلس الشاسع عن مركز الإسلام فى الجزيرة العربية والبلاد الملاصقة لها فى مصر والشام والعراق ، والثانى قلة عدد العرب الذين دخلوا الأندلس ، إذ لم يكد عددهم يتجاوز بضعة آلاف لم يَقدموا بأسرهم ، وإنما كانوا جنوداً محاربين ، وكان عليهم أن ينشئوا فى وطنهم الجديد أسراً هى نتيجة للتزاوج بين الفاتحين **وأهل البلاد الذين كانوا من أصول لاتينية وقوطية** . وهكذا نرى منذ السنوات الأولى للفتح مجتمعًا جديداً اختلطت فيه دماء الفاتحين من عرب وبربر بدماء أهل البلاد الأصليين .

وكان على المجتمع الجديد أن يعوض النقص المترتب على هذين العاملين : **البعد الهائل عن مراكز الثقافة العربية الإسلامية فى المشرق ، وقلة العناصر العربية الداخلة إلى البلاد** ، بالإضافة إلى تأخر الفتح العربى للأندلس إلى قرب نهاية القرن الهجرى الأول .

ولم يكن من سبيل لذلك إلا بتكثيف الرحلات إلى المشرق ، وكان لهذه الرحلات هدفان رئيسيان : أداء فريضة الحج ، وطلب العلم من أجل التزود بالثقافة الإسلامية من مصادرها الأصلية ، باعتبارها قواماً لحياة المجتمع الجديد . ولهذا

لم يكن من الغريب أن يصبح المذهب الفقهى الذى قدر له أن يسود الأندلس هو **مذهب مالك بن أنس إمام أهل دار الهجرة** (والمتوفى سنة ١٧٩) . فقد عرف الأندلسيون هذا المذهب فى حياة الإمام مالك نفسه عن طريق ثلاثة من تلاميذه الأندلسيين ، هم : الغازى بن قيس (ت ١٩٩) وزياد بن عبد الرحمن اللخمى المعروف **بشبطون** (ت ٢٠٤هـ) **ويحيى بن يحيى الليثى** البربرى الأصل (ت ٢٣٤) . وكان الأندلسيون قد عرفوا أيضاً مذهبين آخرين هما : **مذهب الأوزاعى** إمام أهل الشام (ت١٥٧) **والليث ابن سعد المصرى**(ت ١٧٥) ، غير أن الغلبة كانت للمذهب المالكى الذى دانت به الأندلس حتى نهاية دولة الإسلام وبلاد المغرب كلها حتى اليوم .

وإذا كان القرآن الكريم هو المحور الذى دارت حوله وانبثقت منه كل علوم الإسلام ، فإن حديثنا فى هذا البحث سوف يتركز حول **العلوم التى تتصل بكتاب الله العزيز اتصالاً مباشراً ، وهى : القراءات والتفسير ، ثم ما دار حول القرآن الكريم** من دراسات شرعية أو لُغوية أو بيانية . ونظراً لوفرة المادة المجموعة حول هذه الموضوعات فإننا سوف نقتصر على ما ألفه الأندلسيون فى هذا الميدان حتى نهاية القرن السادس الهجرى .

****

الفصل الأول

القراءات القرآنية

كان التثبت من تلاوة نص القرآن الكريم أول ما اهتم به مسلمو الأندلس . ونحن نعرف أنه قد وجدت منذ البداية **قراءات متعددة للنص القرآني لا تؤثر على جوهره ، وإنما تتعلق بضبط بعض ألفاظه والأداء الصوتي لها أو إعجام بعض الكلمات وتوجيه معانيها** . وأهم هذه القراءات سبع متفق على تواترها .

وكما اتجه الأندلسيون منذ البداية إلى مذهب **مالك إمام أهل المدينة** لكي يستمدوا منه ثقافتهم الفقهية فكذلك فعلوا فيما يتصل بالقراءات القرآنية ، إذ اختاروا قراءة نافع بن أبي نعيم (ت ١٦٩) قارئ أهل المدينة [١] . وكان الغازي بن قيس (ت ١٩٩) هو أول من أدخل قراءته إلى الأندلس كما كان أول من أدخل موطأ مالك أيضاً . وتأصلت هذه القراءة في البلاد منذ

(١) عن نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (١١٠-١٦٩) انظر غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري (في مجلدين) ، القاهرة ١٣٥١/١٩٣٢، ٢/٣٣٠ ، وفيات الأعيان لابن خلكان ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٨- ١٩٧٢ ، ٥/٣٦٨ ، السبعة لأبي بكر بن مجاهد ، تحقيق شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٨٠، ص ٥٣ .

ذلك الوقت ، وساهم فى نشرها ابن للغازى بن قيس هو عبد الله (ت ٢٣٠) [١] . على أن القراءة التى ذاعت فى الأندلس بعد ذلك هى التى قرأ بها واحد من أشهر تلاميذ نافع ، هو عثمان بن سعد المصرى القبطى الأصل المعروف بورش (ت١٩٧) [٢] . وكان محمد بن عبد الله الأندلسى قد أخذ عن ورش قراءته فى رحلة له إلى مصر ، ولما عاد إلى وطنه جعله الأمير الحكم بن هشام مؤدباً لبعض أبنائه ، ولعل مكانته من الأمير أعانته على نشر قراءة ورش ، وتوفى محمد هذا سنة ٢٣٠ [٣] . وكان آنذاك من أعلام القراء بمصر أبو الأزهر عبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم العتقى (المتوفى سنة٢٣١) ، وأبوه عبد الرحمن تلميذ الإمام مالك كان على رأس

---

(١) ترجمة الغازى بن قيس فى تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ، القاهرة ١٩٥٤ ، رقم ١٠١٣ ، طبقات اللغويين والنحويين لأبى بكر الزبيدى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص٢٥٤ ، ترجمة ابنه عبد الله فى ابن الفرضى رقم ٦٣٢ ، وطبقات الزبيدى ص ٢٥٩ .

(٢) ترجمة ورش فى طبقات القراء لابن الجزرى ٥٠٢/١ ، ومعجم الأدباء لياقوت الحموى ، بتحقيق أحمد فريد الرفاعى ، القاهرة ١٩٣٨ ، ١١٦/١٢ ، والسبعة فى القراءات لأبى بكر ابن مجاهد ص ٦٣ .

(٣) ترجمته فى ابن الفرضى رقم ١١٠١ ، وطبقات الزبيدى ص ٢٧٠ .

مالكية مصر ، وعليه تتلمذ ناشرو المذهب فى مصر وإفريقية ، وأما عبد الصمد المذكور فكان ملازماً لورش ، وكانت له من أهل الأندلس مكانة كبيرة كما كانت لأبيه من قبل . ويقول عنه السيوطى : " ولمكانة أبى الأزهر اعتمد الأندلسيون على قراءة ورش " [(١)] . وظلت هذه القراءة هى السائدة فى الأندلس حتى نهاية دولة الإسلام فى البلاد ، بل إن الأندلسيين هم الذين نشروها فى بلاد الشمال الأفريقى : يذكر ابن الفرضى والمقرى فى ترجمة محمد بن عمر بن خيرون القرطبى (المتوفى سنة ٣٠٦) أنه رحل إلى مصر فأخذ منها قراءة ورش عن نافع ، ثم استقر فى القيروان فنشر بها هذه القراءة ، وكان الغالب على أهلها من قبل القراءة بحرف حمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦) أحد أئمة الكوفة ، ولم يكن يقرأ بحرف ورش إلا الخواص ، فانتقل القيروانيون بفضل ابن خيرون إلى قراءة نافع [(٢)] .

---

(١) حُسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٧، ٤٨٦/١ .

(٢) تاريخ ابن الفرضى ، رقم ١٣٩٣ ، ونفح الطيب للمقرى ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٨- ٦٦/٢ ، وورد الاسم فى هذين المصدرين " محمد بن محمد بن خيرون " ، غير أن الفضل فى تصحيحه يرجع إلى بشير البكوش محقق كتاب رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وإفريقية ، وبيروت ١٩٨٣-٥٢/٢ . وانظر فى ترجمة ابن خيرون كذلك طبقات القراء لابن الجزرى ٢١٧/٢ .

وممن اعتنوا بقراءة ورش عبد الملك بن إدريس البجّانى نزيل قرطبة ، وكان قد رحل فروى بمصر عن محمد بن جعفر الأنماطى سنة ٣٤٥ ، ومن هناك جلب كتاب " الوقف والابتدا " عن نافع بقراءة ورش برواية الأنماطى ، وفى الأندلس كتبه وقابله لولى العهد الحكم بن عبد الرحمن الناصر فى سنة ٣٤٨ (١) . ومن الأندلسيين من أوصلوا قراءة ورش إلى أقصى بلاد المشرق ، ونعنى به أبا عبد الله محمد بن أحمد ابن عبد الأعلى القرطبى ، وهو مقرىء كان يعرف " بالورشى " نسبة إلى الإمام المصرى لاشتهاره بها . ويذكر عنه أنه رحل إلى المشرق ، فدخل خراسان وتوفى بسجستان سنة ٣٩٣ (٢) .

والغريب فى الأمر أنه على حين تمسك أهل الأندلس والمغرب بقراءة الإمام المصرى ورش فإن المصريين أنفسهم قد تحولوا عن هذه القراءة إلى قراءة حفص بن سليمان الأسدى (ت ١٨٠) قارئ أهل الكوفة وتلميذ الإمام عاصم بن أبى النَّجود (ت ١٢٧)

(١) ترجمة عبد الملك بن إدريس فى الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشى ، تحقيق إحسان عباس بيروت ١٩٦٥ - السفر الخامس ، رقم ١٥ ص ١٣ .

(٢) نفح الطيب ٢/٢١٤ .

وهو الذى انتهت إليه رياسة الإقراء بالكوفة (١) . ولسنا نعرف على وجه التحقيق متى تم هذا التحول ، وإن كان الأرجح أنه كان فى القرن الرابع الهجرى بعد أن ازدهرت القراءات وأصبحت فى مصر مدرسة متميزة فى هذا الفرع من علوم القرآن . وبرواية حفص عن عاصم صارت المصاحف تطبع فى مصر وفى شرق العالم العربى .

أما فى الأندلس فقد اكتفى جمهور المسلمين بقراءة ورش ، ولم تعتن الأجيال الأولى من علمائهم بالفروق بين القراءات ، ولا نستثنى من ذلك إلا فقيهًا متقدم الوفاة هو أبو موسى عبد الرحمن بن موسى الهوارى الإستجى الذى رحل فى أول إمارة عبد الرحمن الداخل فى نحو منتصف القرن الثانى الهجرى ، فلقى مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وبعض علماء

---

(١) حفص بن سليمان الأسدى ، نزل بغداد وجاور بمكة ، وكان أعلم أصحاب عاصم بقراءته ، وهو ابن امرأته وربيبه . انظر ترجمته فى طبقات القراء لابن الجزرى ٢٥٤/١ ، والنشر فى القراءات العشر ، له أيضاً ، دمشق ١٣٤٥هـ ، ١٥٦/١ ، وميزان الاعتدال فى نقد الرجال للذهبى ، القاهرة ١٣٢٥هـ ، ٢٦١/١ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى ، حيدر أباد الدكن ١٣٢٥هـ ، ٤٠٠/٢ . وأما عاصم بن أبى النجود فهو تابعى أصبح رئيس مقرئى الكوفة بعد أبى عبد الرحمن السُلمى ، ترجمته فى وفيات الأعيان ٩/٣ ، وطبقات القراء ٣٤٦/١ ، وميزان الاعتدال ٥/٢ ، وتهذيب التهذيب ٣٨/٥ ، والسبعة فى القراءات لابن مجاهد ص ٦٩ .

اللغة و - كان حافظاً للفقه والتفسير والقراءات - على حد قول ابن الفرضى وهو أول من ألف تفسيراً لعله عالج فيه موضوع القراءات وإن كان ذلك بشكل عارض [1] .

ومع مرور الزمن حرصت الأجيال التالية من طلاب العلم الأندلسيين على تتبع الكتب المتعلقة بالدراسات الدينية المختلفة . وعمل الراحلون إلى المشرق على نقل كتب العلماء الذين ألفوا فى هذا الميدان . فقد عرف بعضهم كتب أبى عبيد القاسم بن سلام الكوفى (ت ٢٢٤) ومنها كتاب فى القراءات ، وهو يعد من أول من كتبوا فى هذا الموضوع [2] . غير أنهم لم يوجهوا عنايتهم إلى كتب القراءات القرآنية . وبقى الأمر كذلك طوال القرن الثالث الهجرى .

وكانت الأندلس قد تعرضت لانتكاسة شديدة خلال الربع الأخير من هذا القرن الثالث على عهد الأمير عبد الله بن محمد (بين سنتى ٢٧٥ و ٣٠٠) ، إذ انتشرت الثورات وضعفت السلطة المركزية ، واجتاحت البلاد فتن كثيرة أدت إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية بشكل هدد الإمارة الأموية كلها بالانهيار .

---

(١) عن أبى موسى الهوارى انظر تاريخ ابن الفرضى رقم ٧٧٦ ، وطبقات الزبيدى ص ٢٥٣ ، وطبقات المفسرين لمحمد بن على الداودى ، تحقيق على محمد عمر ، القاهرة ١٩٧٢ ، ٢٩١/١ .

(٢) فى ترجمته انظر وفيات الأعيان ٦٠/٤ .

غير أن ولاية عبد الرحمن بن محمد حفيد الأمير عبد الله فى فاتح القرن الرابع كانت مؤذنة بعهد جديد ، فقد استطاع هذا الأمير الشاب فى جهد صبور دؤوب أن يقضى على الثورات ويعيد للدولة هيبتها ، وينشر جوا من السلام والأمن ، فعادت الرعية إلى مباشرة أنشطتها المعتادة ، وانتظمت حياتها الاقتصادية ، وكان لذلك أثره فى الحياة الثقافية والفكرية . ولم تمض ست عشرة سنة على ولاية عبد الرحمن حتى رأى نفسه جديراً بأن يجاهر بأحقيته فى خلافة المسلمين ، أى أن يصبح الزعيم الروحى والسياسى لعالم الإسلام كله ، وذلك فى مواجهة الخلافة العباسية فى بغداد ، وكانت قد تدهورت ولم يعد للخليفة من السلطة إلا ظاهرها الشكلى ، وفى تحدٍ صريح للخلافة الشيعية الإسماعيلية فى الشمال الأفريقى ، وكانت قد أعلنت فى القيروان سنة ٢٩٦ ، وهى خلافة كانت تقوم على مبادىء عدها أهل السنة فى الأندلس بدعة ضالة خارجة على الإسلام الصحيح .

كان إعلان عبد الرحمن بن محمد نفسه أميرًا للمؤمنين فى سنة ٣١٦ مصطنعًا لقب الناصر لدين الله تحولاً خطيرًا فى حياة الأندلس الإسلامية ، تحولاً يلقى على كاهل الدولة ورعاياها تبعة ثقيلة ، إذ كان على الأندلس أن تثبت فى ميدان التنافس مع بلاد المشرق والشمال الأفريقى لا فى الميدان السياسى والعسكرى فحسب ، بل كذلك فى ميدان الثقافة بألوانها المختلفة ، وفى الفكر الدينى بصفة خاصة . ومن هذا المنطلق

أخذت الدولة - فى سياسة تتسم بالذكاء والتفتح - بتشجيع كل ألوان الثقافة ورعايتها ، وإطلاق مزيد من الحرية للمشتغلين بالعلم . وكان الخليفة عبد الرحمن الناصر نفسه - مع اشتغاله بتصريف أمور الدولة واهتمامه بمصالح رعيته - على درجة رفيعة من الثقافة أهلته لها نشأته وتربيته وأعانه على ذلك ابنه وولى عهده الحكم (الذى خلفه بلقب المستنصر بالله) ، إذ كان بمثابة وزير للثقافة فى ظله : راعيًا للمؤلفين ، ومستجلبًا للعلماء فى كل فروع المعرفة ، حريصًا على أن يزوده وكلاؤه فى حواضر المشرق بكل جديد من المؤلفات . وقد اشتهر ذكر خزانته الحافلة التى كانت تضم مئات الآلاف من الكتب .

ومن هنا شرع الأندلسيون فى التوسع فى الدراسات الدينية والقرآنية بصفة خاصة والاهتمام المتخصص فى فروع هذه الدراسات ، ومن بينها القراءات القرآنية . فلم يعد الأندلسيون يقنعون بالعكوف على قراءة ورش التى لم يحيدوا عنها أبداً ، غير أنهم فى طموحهم العلمى رأوا أن تتسع معرفتهم لتستوعب سائر القراءات القرآنية الأخرى ولعل أول كتاب مشرقى كان سبيلهم إلى هذه المعرفة هو كتاب " السبعة فى القراءات " لأبى بكر أحمد بن موسى بن مجاهد (ت ٣٢٤) [1] فقد نقل هذا الكتاب إلى الأندلس تلميذ لابن مجاهد

(١) ترجمته فى تاريخ بغداد ٥٦/٥ ، وطبقات القراء ١٣٩/١ . وقد قام بتحقيق هذا الكتاب الأستاذ الدكتور / شوقى ضيف ، ونشره فى القاهرة ، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٠ .

هو أبو بكر أحمد بن الفضل الدينورى فى سنة ٣٤١ وظل هذا العالم يقرئ الكتاب حتى وفاته سنة ٣٤٩ [١] . وقدم أيضاً بهذا الكتاب بعد سنوات مقرئ قيروانى هو محمد بن الحسين ابن النعمان كان قد قرأ فى مصر على شيخ قرائها عبد الله ابن حسنون السامرّى ، وكان دخوله الأندلس بعد سنة ٣٦٠ . ويقول ابن الفرضى إن ابن النعمان كان قد جوّد القراءة بمصر ، ولم يكن معه غير كتاب ابن مجاهد وإن وفاته كانت فى سنة ٣٦٨ [٢] كذلك كان من تلاميذ ابن مجاهد ممن دخلوا الأندلس على بن شيبان الدقاق البغدادى الذى قدم سنة ٣٧٥ بدعوة من المنصور بن أبى عامر ، وكانت وفاته بالثغر[٣] . وقد سبق أن أشرنا إلى أن من بين الكتب الأولى التى دخلت الأندلس فى القراءات على عهد عبد الرحمن الناصر

---

(١) ترجمته فى ابن الفرضى رقم ٢٠١ ويقول ابن الفرضى " إن الناس انجفلوا إليه وازدحموا عليه " هذا مع نقد بعض العلماء الأندلسيين إياه واتهامهم له بأنه لم يكن موضع ثقة .

(٢) تاريخ ابن الفرضى رقم ١٤٠٠ . وأما ابن حسنون السامرى نزيل مصر فقد قرأ على ابن مجاهد وأبى بكر ابن الأنبارى وابن شنبود صاحب القراءات الشاذة : وقدأثنى عليه أبو عمرو الدانى وكانت وفاته سنة ٣٨٦ . انظر فى ترجمته طبقات القراء ٤١٥/١ ، وحسن المحاضرة للسيوطى ٤٨٩/١ .

(٣) ترجمته فى تاريخ ابن الفرضى رقم ٩٣٣ .

كتاب " الوقف والابتدا " عن نافع بقراءة ورش ، قدم به عبد الملك بن إدريس البجانى الذى رواه بمصر عن المقرى محمد ابن جعفر الأنماطى . ولسنا نعرف ما إذا كان الأنماطى هو مؤلف الكتاب أو راويته عن أبى بكر محمد بن القاسم بن بشار المعروف بابن الأنبارى . وقد عنى ولى العهد الحكم بهذا الكتاب فأمر بنسخه ومقابلته فى سنة ٣٤٨[(١)] .

ويواصل الحكم المستنصر الذى خلف أباه على حكم الأندلس (بين سنتى ٣٥٠ و ٣٦٦) الاهتمام باستدعاء العلماء المشارقة المنقطعين لهذا الفرع من الدراسات . ففى سنة ٣٥٢ يدخل الأندلس بدعوة منه أبو الحسن على بن محمد بن إسماعيل الأنطاكى ، ويكرمه الخليفة وينزله منزلة رفيعة ، وكان الأنطاكى رأساً فى علم القراءات لا يتقدمه فيها أحد فى وقته ، وإليه يرجع الفضل فى توجيه الأندلسيين إلى العناية بالقراءات [(٢)] .

---

(١) فى ترجمة عبد الملك بن إدريس انظر الحاشية السابقة رقم ٧ ، ونضيف إلى مصادر ترجمته : التكملة لابن الأبار ، ركوديرا ، مدريد ١٨٨٦ ، رقم ١٦٤٨، وأبو بكر ابن الأنبارى البغدادى هو اللغوى الكبير شارح المفضليات والقصائد السبع الطوال وأستاذ أبى على القالى . توفى سنة ٣٢٨ ، ترجمته فى تاريخ بغداد ١٨١/٣ ،طبقات القراء ٢٣٠/٢ ،طبقات الداودى ٢٢٦/٢ .

(٢) انظر فى ترجمة أبى الحسن الأنطاكى تاريخ ابن الفرضى رقم ٩٣٢ ، ونفح الطيب ١٤٤/٢ ،وطبقات القراء ٥٦١/١ .

وكان له مدرسة يدرب فيها شباب الطلاب على تجويد القراءات على نحو علمى بعد أن يختارهم من ذوى الأصوات الحسنة والأداء الجيد . وكان الخليفة الحكم يتفقد بنفسه هذه المدرسة[1] .

وظل أبو الحسن الأنطاكى متفانياً فى عمله حتى وفاته سنة ٣٧٧ . ويدل على هذا الجهد كثرة من تعلموا القراءة على يديه . ومن هؤلاء من اكتفوا بنشر ما أخذوه عنه ، ومنهم من شاركوا أيضاً بالتأليف فى مجال القراءات . ونذكر فيما يلى أبرز هؤلاء التلاميذ :

- أحمد بن وليد .. بن أبى المفوز القرطبى : أخذ عنه القراءة عرضاً وجوَّد عليه حرف نافع برواية ورش وقالون ، وأقرأ زماناً فى مسجده حتى وفاته سنة ٣٩٩ [2] .
- عبد الله بن محمد بن الفرضى صاحب تاريخ علماء الأندلس (ت ٤٠٣) وقد نص فى ترجمته له على أخذه عنه[3] .

(١) يشير ابن الأبار فى كتابيه التكملة ، رقم ١٤٩ وإعتاب الكتاب ، تحقيق صالح الأشتر ، دمشق ١٩٦١ ص ١٩٨ إلى هذه المدرسة ، وذلك فى ترجمته لخلف بن حسين كاتب المنصور بن أبى عامر ووالد المؤرخ أبى مروان ابن حيان ، فقد كان خلف المذكور من بين التلاميذ الذين عينهم الشيخ للقراءة يوم زاره الخليفة . وانظر مقدمة تحقيقنا للمقتبس لابن حيان ، بيروت ١٩٧٣ ص ١٠-١١ .

(٢) الصلة لابن بشكوال ، ط . القاهرة ١٩٥٥ ، رقم ٢٢ .

(٣) ترجمة الأنطاكى ، والصلة رقم ٥٧ .

- عبد الرحمن بن مروان القنازعي (ت ٤١٣) الذي قرأ عليه بعد رحلة إلى المشرق سمع فيها بالقيروان ومصر ومكة [١] .

- يحيى بن عبد الملك بن مهنا القرطبي صاحب الصلاة بالمسجد الجامع بقرطبة (ت ٤٢٤) ، وكان مجوداً لحرف نافع ، ويعده ابن بشكوال من أمثل تلاميذ الأنطاكي وأضبطهم لما قرأ به [٢] .

- أحمد بن عبد القادر الأموي الأشبيلي (ت بعد ٤٢٠) ، وهو ممن شاركوا في التأليف ، إذ يذكر له ابن بشكوال كتابا سماه " التحقيق في القراءات السبع " [٣] .

- أبا عمر أحمد بن محمد المعافري الطلمنكي نزيل قرطبة ، أحد كبار الفقهاء المحدثين اللغويين ، أكثر الأخذ عن الأنطاكي ، ثم رحل إلى المشرق فاستزاد من علم القراءات في مصر ، إذ أخذ عن المفسر النحوي أبي بكر الإدفوي والمقرئ أبي الطيب بن غلبون وعاد فالتزم الإمامة بمسجد متعة بقرطبة حيث كان يقرئ الناس محتسباً ، ثم خرج إلى الثغر ، فانتفع الناس بعلمه ، وظل منقطعاً للتدريس حتى وفاته سنة ٤٢٩ [٤] .

---

١) الصلة ، رقم ٦٩٤ .

٢) الصلة ، رقم ١٤٦٣ .

٣) الصلة ، رقم ٧٦ .

٤) الصلة ، رقم ٩٢ ، وطبقات القراء ١/ ١٢٠ ، وطبقات الداودي ١/ ٧٧ .

- محمد بن عبد الله بن الصنّاع القرطبي (ت ٤٤٨) وهو ممن جوّد القرآن على الأنطاكي ، وأقرأ الناس بالحمل عنه ، وأخذ عنه كتابه في قراءة ورش ، ويذكر ابن بشكوال أنه آخر من بقي بقرطبة من تلاميذ الأنطاكي (١) .

وهكذا نرى كيف أصبح هذا العالم القادم من أنطاكية شيخاً لمدرسة أندلسية كبيرة في علم القراءات ، وكيف تأصل هذا العلم على يديه في الأندلس ، وشرع الجيل التالي من تلاميذه في الاستزادة منه بترددهم على مقرئي المشرق ، ولا سيما مصر حيث ازدهرت خلال القرن الرابع مدرسة أنجبت عدداً من أكبر قراء العالم الإسلامي .

*****

(١) الصلة، رقم ١١٧٠.

دور مصر
فى الثقافة العربية الإسلامية

ونتوقف هنا لنسجل ظاهرة تتكرر فى تاريخ الثقافة العربية الإسلامية ، وهى دور مصر بصفتها حلقة تربط بين المشرق والمغرب ، وملتقى تصب فيه الروافد القادمة من مختلف الحواضر العلمية فى الشرق لكى يستقى من طلاب العلم الوافدين من المغرب ، ولا سيما من إفريقية والأندلس . كان هذا الدور الذى اضطلعت به مصر فى الثقافة الفقهية منذ أن انتقلت رياسة المذهب المالكى إليها من الحجاز بعد وفاة الإمام مالك بن أنس ، فأصبح عبد الرحمن بن القاسم هو شيخ المالكية الذى أخذ عنه متفقهة الأندلس وإفريقية ، وعلى رأسهم يحيى بن يحيى الليثى القرطبى وعبد السلام بن سعيد سحنون القيروانى . وتتكرر هذه الظاهرة فيما يتعلق بعلم القراءات خلال القرن الرابع ، إذ يصبح أعلام المدرسة المصرية سواء منهم الشيوخ المصريون أنفسهم أو الذين استقروا فى مصر من الوافدين عليها هم مرجع طالبى هذا العلم من الأندلسيين والمغاربة .

وأول هؤلاء الشيوخ هو النحوى أبو جعفر أحمد بن محمد المرادى بن النحاس ، وكان قد رحل إلى بغداد فروى عن المبرد وتلميذه نزيل مصر على بن سليمان الأخفش الأصغر وعن أبى

إسحاق الزجاج ، وأخذ القراءات فى بغداد عن كبار القراء حتى من عنوا بالقراءات الشاذة مثل ابن شنبوذ ، وعاد إلى مصر، فسمع الحديث من الإمام النسائى ، وألف كتباً فى النحو والتفسير وشروح الشعر والقراءات ، وتوفى سنة ٣٣٨ (١) .

وعن ابن النحاس أخذ المفسر الكبير أبو بكر محمد بن على الإدفوى الذى برع فى علوم القرآن ، فألف تفسيره الكبير " الاستغناء فى علوم القرآن " وقال عنه أبو عمرو الدانى إنه انفرد بالإمامة فى قراءة نافع وكانت وفاته سنة ٣٨٨(٢) .

ويلى الإدفوى تلميذه أبو الحسن على بن إبراهيم المعروف بالحوفى النحوى المفسر المتوفى سنة ٤٣٠ (٣) .

وأما الوافدون على مصر والمتخذون منها مستقراً لنشر علمهم فمن أولهم محمد بن عبد الله بن أشته الأصبهانى

---

(١) ترجمته فى وفيات الأعيان ٩٩/١ ، حسن المحاضرة ٥٣١/١ ، طبقات الداودى ٦٧/١.

(٢) ترجمته فى حُسن المحاضرة ٤٩٠/١ ، طبقات القراء ١٩٨/٢ ، طبقات الداودى ١٩٤/٢.

(٣) ترجمته فى حسن المحاضرة ٥٣٢/١ ، وبغية الوعاة للسيوطى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٥-١٤٠/٢ ، طبقات الداودى ٣٨١/١.

(ت ٣٦٠) وهو صاحب " المصحف المحبر " و " المفيد فى شواذ القراءات [١] . ومنهم عبد الله بن الحسين بن حسنون السامرى الذى كان قد قرأ فى بغداد على ابن مجاهد وابن الأنبارى وابن شنبوذ ويدعوه السيوطى " مسند القراء بالديار المصرية وكانت وفاته بمصر سنة ٣٨٦ [٢] . ومعاصره أبو الطيب عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون الذى ولد فى حلب ولكنه استقر فى مصر ، وله كتب منها " الإرشاد فى القراءات السبع " و " التهذيب - أو المهذب - لاختلاف قراءة ورش وأبى عمرو بن العلاء ، واختلاف ورش وقالون عن نافع " و " الاستكمال لبيان مذاهب القراء السبعة فى التفخيم والإمالة " وكانت وفاته فى ٣٨٩ [٣] . ويلى عبد المنعم بن غلبون فى رياسة قراء مصر ابنه طاهر مصنف " التذكرة فى القراءات "، وهو الذى وصفه أبو عمرو الدانى بأنه " لم ير فى وقته مثله " ، وكانت وفاته فى ٣٩٩ [٤] . ومن مدينة

---

(١) ترجمته فى طبقات القراء ١٨٤/٢ ، والإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٦٧ -١٤٩/١ ، وهو ينقل عنه فى مواضع كثيرة من كتابه .

(٢) ترجمته فى طبقات القراء ٤١٥/١ وحسن المحاضرة ٤٨٩/١ .

(٣) ترجمته فى طبقات القراء ٤٧٠/١ ، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ، القاهرة ١٣٥٠هـ-١٣١/٣ ،حسن المحاضرة ٤٩٠/١ .

(٤) ترجمته فى طبقات القراء ٣٣٩/١ ،وحسن المحاضرة ٤٩١/١ .

طرسوس التى كانت من ثغور المسلمين على حدود بلاد الروم يقدم إلى مصر عبد الجبار بن أحمد شيخ القراء فى زمانه ، وهو تلميذ ابن حسنون السامَّرى وصاحب كتاب " المجتبى الجامع لقراءات الأئمة " ، وكانت وفاته سنة ٤٢٠هـ (١) . كذلك يفد إلى مصر الحسن بن محمد البغدادى مؤلف كتاب " الروضة " وخليفة الطرسوسى على مشيخة قراء مصر .

وهكذا نرى كيف أصبحت مصر الفاطمية على مدى أكثر من قرن مركزاً للقراءات القرآنية يجتذب المهتمين بهذا الفرع من سائر الحواضر المشرقية ويفد إليه طالبو هذا العلم من بلدان المغرب . ومن هؤلاء محمد بن سُفيان الهوارى القيروانى الذى رحل إلى مصر فقرأ على عبد المنعم بن غلبون ، وقد وصفه حاتم ابن الطرابلسى أحد تلاميذه الأندلسيين بأنه " أشهر من فى

---

(١) ترجمته فى طبقات القراء ٣٥٧/١ ، وحُسن المحاضرة ٤٩٢/١ . وينبغى أن نسجل هنا ظاهرة تستوقف النظر ، وهى ما نلاحظه من اهتمام هذه المدن الساحلية الثغرية بعلم القراءات سواء فى المشرق أو فى المغرب . فقد رأينا كيف كانت أنطاكية وطرسوس من ثغور الشام مهداً لاثنين من كبار علماء القراءات : أبى الحسن الأنطاكى وعبد الجبار الطرسوسى ، وسنرى بعد ذلك أن مدينة دانية Denia الساحلية ثم مدينة شاطبة Jativa – وكلاهما من مدن الثغور الأندلسية – كانتا تربة خصبة لهذا العلم ، ومنهما نبغ أكبر عالمين فى القراءات : أبو عمرو الدانى والشاطبى . إنها ظاهرة تستحق التأمل وتحتاج فى تعليلها إلى مزيد من الدراسة والتحليل .

المغرب فى وقته بالقراءات " . وله فى هذا العلم كتابا " الهادى " و " اختلاف قراء الأمصار " . وكان قد خرج لأداء الفريضة فى سنة ٤١٣ وجاور بمكة ثم أتى المدينة فتوفى بها سنة ٤١٥ [١] .

وكان من تلاميذ محمد بن سفيان الإفريقيين أبو العباس أحمد بن عمار المهدوى (من مدينة المهدية) ، وكانت له رحلةسمع فيها من مقرئ مكة أحمد بن محمد القنطرى ، ودخل الأندلس فى حدود سنة ٤٣٠ ، وألف فى القراءات كتباً كثيرة النفع أخذها عنه غانم بن الوليد المالقى (ت ٤٧٠) ، منها كتاب " الهداية إلى مذاهب القراء السبعة " وشرحه المسمى " الكفاية فى شرح مقارى الهداية "و " والتحصيل لفوائد كتاب التفصيل"[٢]. وهى كتب ظلت تتدارس فى الأندلس حتى القرن السادس بشهادة ابن خير الإشبيلى [٣] .

---

(١) فى ترجمة محمد بن سفيان انظر ترتيب المدارك للقاضى عياض ، نشر أحمد بكير محمود ، بيروت ١٩٦٧ - ٧١٢/٢ ، الديباج المذهب ص ٢٧١ . وحول كتابه اختلاف قراء الأمصار انظر فهرسة ابن خير ص ٢٨ ، وحول كتاب الهادى انظر صلة ابن بشكوال ص ١٥٥ وفهرسة ابن خير ص ٢٤ .

(٢) ترجمة المهدوى فى الصلة رقم ١٨٨ ، طبقات القراء ٩٢/١ ، وطبقات الداودى ٥٦/١ ، وانظر دراسة عبد السلام أحمد الكنونى عن " المدرسة القرآنية فى المغرب ٦٧/١ - ٧٣ و ١٩٩ - ٢٠٦ . وترجمة غانم المالقى فى الصلة رقم ٩٨٢ .

(٣) فهرسة ابن خير ٣١ ، ٤٣ - ٤٤ .

جهود الأندلسيين
فى طلب العلم

***

كان الفضل فى تنبيه الأندلسيين إلى الاهتمام بالقراءات القرآنية يرجع فى المقام الأول - كما ذكرنا - لأبى الحسن الأنطاكى . وتجلت ثمرات جهده فى عدد من طلبة العلم الأندلسيين الذين لم يكتفوا بما أخذوه عن هذا الشيخ القادم عليهم من أنطاكية ، فرحلوا إلى مصر التى أصبحت من أهم مراكز هذا الفرع من فروع الدراسات القرآنية .

فمن هؤلاء سعيد بن إدريس السلمى الإشبيلى الذى ولد سنة ٣٤٩ ورحل إلى مصر ، فلقى أبا الطيب بن غلبون ، وكانت له منه حظوة ، وتتلمذ أيضاً على أبى بكر الإدفوى ، وعاد إلى الأندلس ، فكان إماماً للخليفة هشام المؤيد بن الحكم المستنصر حتى وقت الفتنة فخرج إلى إشبيلية وسكنها وبها توفى سنة ٤٢٨ (١) .

ومنهم حكم بن محمد بن حكم الجذامى القرطبى الذى رحل إلى المشرق سة ٣٨١ ، فقرأ بمصر على أبى الطيب بن غلبون ، وعاد إلى وطنه فروى عنه جماعة من كبار المقرئين والمحدثين ،

---

(١) الصلة رقم ٤٩٨ .

وكان على الرواية لتأخر وفاته ، إذ مات سنة ٤٤٩ عن بضع وتسعين سنة [١] .

وكان مما رواه عن ابن غلبون سنة ٣٨٩ (وهى سنة وفاته) " المرشد فى القراءات السبع " و " التهذيب لاختلاف قراءة نافع فى رواية ورش وأبى عمرو بن العلاء فى رواية اليزيدى" و " اختلاف ورش وقالون عن نافع " . وعنه روى هذه الكتب أبو على الغسانى (المتوفى سنة ٤٩٨) ، وعن طريقه وصلت إلى ابن خير (ت ٥٧٥) . وكذلك روى كتاب " استكمال الفائدة فى الإمالة فى مذاهب القراءة السبعة " وكتاب " الوقف والابتدا " لأبى جعفر النحاس عن تلميذه إبراهيم بن على التمار [٢] .

ومنهم أحمد بن قاسم بن عيسى اللخمى الأقليشى الذى أخذ بمصر عن أبى الطيب بن غلبون وابنه طاهر وروى كتبهما وعاد فألف فى " معانى القراءات " كتباً أخذها الناس عنه ، وانتقل فى الفتنة إلى طليطلة فأقرأ بها حتى وفاته سنة ٤١٠ [٣] .

وبعد هذه الفترة من الإعداد واستيعاب التراث المشرقى من المؤلفات حول القراءات ، تؤتى هذه الجهود الأندلسية أكلها خلال النصف الأول من القرن الخامس الذى يتمثل فيه نضج الثقافة الأندلسية فى سائر العلوم . وهنا نرى كيف يتحول الأندلسيون

---

(١) الصلة رقم ٢٣٧ .

(٢) فهرسة ص ٢٥ و٢٧ و٤٥ .

(٣) الصلة رقم ٦٠ .

من تلاميذ حريصين على تلقى العلم من مصادره المشرقية إلى أساتذة لا على مستوى بلدهم فحسب ، بل على مستوى العالم العربى والإسلامى كله .

ويطول بنا الحديث لو عددنا المؤلفين الأندلسيين فى القراءات ما بين أواخر القرن الرابع والنصف الأول من القرن الخامس . ولهذا فإننا سوف نكتفى بأشهر علمين فى هذا الميدان ، وهما مكى بن أبى طالب وأبو عمرو الدانى .

***

أما مكى بن أبى طالب القيسى القيروانى الأصل نزيل الأندلس والملقب بحمُّوش فهو الذى يعد نموذجاً حياً لالتقاء الاتجاهات العلمية الخاصة بالقرآن الكريم بين المشرق والمغرب والأندلس ، وفيه تتمثل وحدة الثقافة الإسلامية التى تتخذ محورها من كتاب الله عز وجل . فقد كان مولده فى القيروان سنة ٣٥٥ ، وأخذ ببلده عن الفقيه ابن أبى زيد (ت ٣٨٦) صاحب " الرسالة " المشهورة فى الفقه ، وعن أبى الحسن القابسى (ت ٤٠٣) ، وبدأ رحلته فى طلب العلم وهو فى الثالثة عشرة من عمره ، فتردد بين مكة ومصر حيث قرأ على أبى الطيب بن غلبون وابنه طاهر وغيرهما من القراء المصريين . وفى سنة ٣٩٣ رحل إلى الأندلس التى اتخذها وطناً له استقر فيه فى ظل الحاجب عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبى عامر الذى احتفى به . ويقول ابن بشكوال إنه لم يؤبه فى أول الأمر به حتى نَّوه به القاضى ابن ذكوان ، فأجلسه للإقراء فى جامع مدينة الزاهرة ، ثم فى المسجد الجامع بقرطبة حيث ولى الصلاة

والخطبة ، وذاع صيته " فرحل الناس إليه من كل قطر " ، وظل مواظباً للتدريس والتأليف حتى وفاته سنة ٤٣٧ [(١)] .

وعكف مكى بن أبى طالب على التأليف ، فخلف نحو ثمانين مصنفاً تدور كلها حول القراءات والتفسير وإعراب القرآن . وفى فهرسة ابن خير الإشبيلى ما يصور مدى انتشار هذه الكتب وإقبال الدارسين عليها حتى أواخر القرن السادس . ومنها ممَّا نص على روايته فى ميدان القراءات الكتب التالية :

- التذكرة فى القراءات السبع .
- التنبيه على أصول قراءة نافع .
- المنتخب فى اختصار الحجة لأبى على الفارسى .
- الهداية إلى بلوغ النهاية ، فى سبعين جزءاً .
- التبصرة فى القراءات السبع[(٢)] .

وكان رواة هذه الكتب ومذيعوها فى الأندلس ثلاثة من تلاميذه القرطبين هم ابنه محمد (ت ٤٧٤) ومحمد بن عتاب بن محسن (ت ٤٦٢) وعبد الملك بن سراج (ت ٤٨٩) . وقد بقى من تراث مكى فى القراءات عدد من المخطوطات متفرق فى العديد

(١) ترجمة مكى فى الصلة رقم ١٣٩٠ ، جذوة المقتبس ٣٢٩ ، وفيات الأعيان ٣٦١/٤ ، طبقات القراء ٣٠٩/٢ ، معجم الأدباء ١٦٧/١٩ ، الديباج ص ٣٤٦ ، شذرات الذهب ٢٦٠/٣ ، طبقات الداودى ٣٣١/٢ .

(٢) حول الكتب الأربعة الأخيرة انظر فهرسة ابن خير ص ٤١ ، ٤٣ ، ٢٨ .

من الكتب ، أحصى منها الباحث المغربى عبد السلام الكنونى : الإبانة عن معانى القراءات ، والكشف عن وجوه القراءات السبع ، والتبصرة فى علوم معانى القراءات [1] .

وأما أبو عمرو الدانى فهو عثمان بن سعيد الأموى ، ولد فى قرطبة سنة ٣٧١ ، وبدأ بطلب العلم فى سنة ٣٨٦ ، فأخذ عن عدد من تلاميذ أبى الحسن الأنطاكى ، ثم رحل إلى المشرق سنة ٣٩٧ ، فمكث بالقيروان أربعة أشهر ، واصل بعدها رحلته إلى مصر ، فأخذ بها عن طاهر بن أبى الطيب بن غلبون فسمع عليه كتاب السبعة لابن مجاهد ، كما أخذ عن غيره من شيوخ المقرئين وحج ثم عاد إلى الأندلس سنة ٣٩٩ ، وهى بداية الفتنة الجائحة التى أودت بعد سنوات من الحرب الأهلية بالخلافة الأموية ، وأدى به اضطراب الأحوال فى قرطبة إلى أن يغادرها إلى الثغر فى سنة ٤٠٣ ، فسكن سرقسطة سبع سنوات عاد بعدها إلى قرطبة ، ولكنه انتقل سنة ٤١٧ إلى ثغر دانية التى استوطنها حتى وفاته سنة ٤٤٤ ، ومن هنا أصبحت نسبته إليها . وقد كان أبو الجيش مجاهد بن عبد الله أمير دانية والجزر الشرقية من أكثر ملوك الطوائف عناية بالقراءات القرآنية [2] . وفى دانية وفد عليه عدد كبير من طلاب هذا العلم .

---

(١) المدرسة القرآنية فى المغرب ص ٧٤ - ٧٦ .

(٢) يقول ابن سعيد فى المغرب (٤٠١/٢) إن مجاهد بن عبد الله كان " كثير التولع بالمقرئين للكتاب العزيز حتى عرف بذلك بلده وقصد من كل مكان " .

وعلى الرغم من أن أبا عمرو لم يقم فى المشرق إلا سنة وبضعة أشهر فإنه استوعب هناك من كتب القراءات ما جعله منذ قدومه إلى الأندلس حجة فى هذا العلم حتى إن ابن الجزرى يقول عنه إنه " لم يكن فى عصره ولا بعد عصره أحد يضاهيه فى حفظه وتحقيقه وإليه المنتهى فى علم القراءات واتقان القرآن ، والقراء خاضعون لتصانيفه واثقون بنقله فى القراءات والرسم والتجويد والوقف والابتداء وغير ذلك " (١) .

ويقول عنه ابن خلدون إنه بلغ الغاية فى القراءات وانتهت إليه أسانيدها ، وتعددت تآليفه فيها ، وعوَّل الناس عليها وعدلوا عن غيرها (٢) . وقد بلغت هذه التآليف مائة وعشرين كتاباً لم يصل معظمها إلى أيدينا ، وإن كان عدد لا بأس به منها ما زال يوجد مخطوطاً فى خزائن الكتب المختلفة (٣) . وقد أورد ابن خير فى فهرسته أسماء خمسة عشر كتاباً منها كانت تتدارس فى الأندلس حتى نهاية القرن السادس ، منها ثلاثة عشر كتاباً فى ميدان القراءات (٤) .

---

(١) نفح الطيب ١٣٦/٢ .   (٢) المقدمة ، المطبعة التجارية ، بدون تاريخ ص٤٣٧ .

(٣) فى ترجمة أبي عمرو الدانى انظر جذوة المقتبس رقم ٧٠٢ ، الصلة رقم ٨٧٦ ، طبقات القراء ٥٠٣/١ ، معجم الأدباء ١٢٥/١٢ ، شذرات الذهب ٢٧٢/٣ ، نفح الطيب ١٣٥/٢ ، إنباه الرواة للقفطى ٢٤١/٢ ، طبقات الداودى ٣٧٣/١ .

(٤) فهرسة ابن خير ص٢٨ - ٢٩ ، ٤٠ - ٤١ ، ٧٢ .

وأهم هذه الكتب وأكثرها ذيوعاً ثلاثة :

١- " التيسير فى مذاهب القراء السبعة " [(١)] ، وفيه يقتصر على راويين فقط من رواة كل من القراء السبعة ويتتبع سور القرآن ، فيذكر الخلافات بين القراء فى كل آية وكلمة ، غير أنه لا يكتفى بإيراد هذه الخلافات ، وإنما يناقشها ويرجح بينها مع تعليل لآرائه .

٢- " المقنع فى الرسم " [(٢)] . برواية أبى داود سليمان بن نجاح الدانى البلنسى (ت ٤٩٦) قراءة على أستاذه أبى عمرو [(٣)] . وهو يتناول مرسوم خطوط مصاحف أهل الأمصار ، ولهذا فقد سماه أبو عمرو أيضاً " كتاب الهجاء فى المصاحف " . وقد بدأه بذكر الأخبار والسنن المتعلقة بالمصحف وطريقة جمعه وما اتفقت عليه مصاحف الأمصار وما اختلف فيه . والأمصار هى التى وجه إليها الخليفة عثمان بن عفان - رضى الله عنه - نسخة من المصحف .

---

(١) نشر كتاب التيسير أوتو برتزل ، وطبع فى استامبول سنة ١٩٣٠ بعناية جمعية المستشرقين الألمانية .

(٢) نشره مكتب الدراسات الإسلامية بدمشق بتحقيق محمد أحمد دهمان سنة ١٩٤٠ .

(٣) ترجمة سليمان بن نجاح فى الصلة رقم ٤٥٧ ، وهو من بين تلاميذ أبى عمرو - على حد قول ابن بشكوال - " أثبت الناس فيه " .

٣-" المحكم فى نقط المصاحف " [1] . والنقط الذى يعنيه أبو عمرو على وجهين : نقط الإعجام للتفرقة بين الحروف المتشابهة مثل الباء والتاء والثاء والياء ، ونقط الإعراب للتفرقة بين الحركات الثلاث ، وكانت هذه الطريقة القديمة فى التمييز بين هذه الحركات : الضمة والفتحة والكسرة [2] .

***

ويلحق بهذين الإمامين الأندلسيين جيل آخر من تلاميذهما ورواة كتبهما ، ولم يكن عمل هؤلاء يقتصر على رواية كتبهما وإذاعتها ، وإنما كان لهم جهد أصيل فى التأليف . ومن أبرز هؤلاء محمد بن شريح الرعينى الإشبيلى الذى ولد فى ٣٩٢ ورحل فى ٤٣٣ إلى المشرق ، فسمع بمصر من كبار قرائها من أمثال أبى العباس بن نفيس الذى روى عنه كتاب " الحجة " لأبى على الفارسى وكان له فضل إذاعته فى الأندلس [3] ، كما روى عن أبى الحسن أحمد بن محمد القنطرى كتابه " الاختصار

---

(١) حققه الدكتور عز حسن ، ونشرته مديرية إحياء التراث القديم بدمشق سنة ١٩٦٠.

(٢) قام الباحث المغربى عبد السلام الكنونى بتحليل جيد لمواد كتب الدانى الثلاثة فى دراسته " المدرسة القرآنية فى المغرب " ص ٨٨ - ١١٤ .

(٣) بشهادة ابن خير فى فهرسته ص ٤٢ .

فى القراءات " [١] . وعاد إلى الأندلس ، فأجاز له مكى بن ابى طالب ، وكانت وفاته بإشبيلية سنة ٤٧٦ [٢] . وألف ابن شريح كتباً نص ابن خير روايته لها ، منها كتابه " الكافى فى القراءات و "التذكير- أو التذكرة - فى القراءات السبع" ، و " قراءة حمزة ابن حبيب الزيات " ، و " قراءة يعقوب بن إسحاق الحضرمى ، والإدغام الكبير لأبى عمرو بن العلاء ، واثنتان وعشرون رواية لقراءات تلاميذ القراء السبعة مع بيان الاختلافات بينها " ، وقد جمع هذه الروايات فى سفر واحد ، و" المكى والمدنى من القرآن" و " اختصار الحجة لأبى على الفارسى " [٣] .

ويواصل شريح بن محمد بن شريح جهود والده فى هذا الميدان ، فكان راوية كتبه ، وعنه أخذها عدد كبير من تلاميذه خلال القرن السادس الهجرى . وكان مولد شريح فى سنة ٤٥١ وأجاز له ابن حزم الظاهرى ، فكان من أكثر من عنوا برواية كتبه ، كما أجاز له عالما قرطبة الكبيران ابن سراج وأبو على الغسانى ، وولى القضاء والخطبة ببلده إشبيلية ، وتوفى سنة ٥٣٩[٤] وقد ألف شريح - بالإضافة إلى ما رواه من كتب أبيه

---

(١) فهرسة ابن خير ص ٢٦ .

(٢) انظر فى ترجمة محمد بن شريح الصلة ، رقم ١٢١٢ ، طبقات القراء ١٥٣/٢ .

(٣) انظر فهرسة ابن خير ص ٢٢ ، ٢٨ ، ٢٥ - ٣٦ ، ٣٩ ، ٤٢ .

(٤) فى ترجمة شريح بن محمد . انظر الصلة رقم ٥٣٥ وطبقات القراء ٣٢٤/١ .

وغيره - العديد من الكتب التى تمثل جهداً كبيراً فى ميدان القراءات ، منها " توجيه حروف قرأ بها يعقوب بن إسحاق الحضرمى لم يقرأ بها أحد من الأئمة السبعة المشهورين " و " نهاية الإتقان فى تجويد تلاوة القرآن " ، و " حصر جميع الآى المختلف فى عدها بين الأمصار " ، و " الانتصاف من الحافظ أبى عمرو الدانى فى رده ترقيق راء مريم وقرية " ، وتأليف فى مسألة عدم تسكين حمزة سئ " ، وقد نص ابن خير على روايته لهذه الكتب [1] .

ولنا على هذا الجهد الذى قام به شريح ملاحظتان : أولاهما الاهتمام بالاختلاف فى القراءات ، لا بين الأئمة السبعة فحسب ، بل كذلك بين تلاميذهم والرواة عنهم ، وبالعديد من الجزئيات التى تدل على تدقيق النظر واستقصاء البحث ، والثانية هى القدرة النقدية ، فجلالة الإمام أبو عمرو الدانى لم تمنع شريحا من وضع رسالة " الانتصاف " التى أخذ فيها بعض المآخذ على شيخ القراء . وفى هذا ما يصور مدى النضج الذى بلغته القراءات فى الأندلس .

وأوضح ما يتجلى هذا النضج فى العدد الهائل من كتب القراءات التى ألفها أندلسيون خلال القرن السادس الهجرى . على أننا سنكتفى بالحديث عن علم واحد من أعلام هذا الفرع من الدراسات القرآنية هو أبو محمد القاسم بن فيُّره الرعينى

---

(١) فهرسة ابن خير ص ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ .

الشاطبى . وهو ينتمى إلى مدينة شاطبة القريبة من دانية ، مستقر الإمام أبى عمرو . وقد ولد الشاطبى ضريراً فى سنة ٥٣٨ ، وقرأ على شيوخ القراءات فى بلده ، ثم رحل إلى مصر سنة ٥٧٢ حيث استقر حتى وفاته سنة ٥٩٠ .[1] وقد احتفى به القاضى الفاضل وزير صلاح الدين الأيوبى ورتبه للإقراء فى مدرسته بالقاهرة ، فتصدر للتدريس طيلة مابقى من حياته ، وكان من أشهر تواليفه فى القراءات قصيدته " حرز الأمانى ووجه التهانى " التى أودعها القراءات السبع ، وهى فى ١٧٣ بيتاً . وعنها يقول ابن خلكان " أبدع فيها كل الإبداع ، وهى عمدة قراء هذا الزمان فى نقلهم ، فقل من يشتغل بالقراءات إلا ويقدم حفظها ومعرفتها " . ويقول عنها ابن خلدون إن الشاطبى " عمد إلى تهذيب ما دونه أبو عمرو وتلخيصه ، فنظم ذلك كله فى قصيدته التى ألغز فيها أسماء القراء بحروف (أ ب ج د) ترتيباً أحكمه ليتيسر عليه ما قصده من الاختصار ، فيكون أسهل للحفظ لأجل نظمها ، فاستوعب فيها الفن استيعاباً حسناً ، وعنى الناس بحفظها وتلقينها للولدان المتعلمين ،

---

(١) فى ترجمة الشاطبى انظر التكملة لابن الابار ، رقم ١٩٧٣ ، الذيل والتكملة لابن عبد الملك ، السفر الخامس ، رقم ١١٨٨ ، طبقات القراء ٢٠/٢ ، وفيات الأعيان ٧١/٤ ، معجم الأدباء ٢٩٣/١٦ ، تذكرة الحفاظ ١٣٥٦/٤ ، الديباج ص ٢٢٤ ، حسن المحاضرة ٤٩٦/١ ، بغية الوعاة ٢٦٠/٢ ، نفح الطيب ٢٢/٢ ، طبقات الداودى ٢٢/٢ .

وجرى العمل على ذلك فى أمصار المغرب والأندلس " [1] .

هذه لمحة عن علم القراءات فى الأندلس حتى أواخر القرن السادس الهجرى ، ومنها نرى كيف تحولت البدايات المتواضعة التى اقتصر فيها الأندلسيون على قراءة ورش عن نافع بن أبى نعيم إلى إحاطة شاملة بهذا العلم حتى أصبحوا فيه أئمة لا فى بلادهم فحسب ، بل لم يلبثوا أن تصدروا فيه أقطار المشرق التى عنها أخذوا ، ثم ردوا دينها أضعافاً مضاعفة .

****

(١) المقدمة ص ٤٣٨ .

الفصل الثانى

التفسير

أولى المحاولات لتفسير بعض آيات القرآن الكريم فى الأندلس كانت من جانب بعض التابعين الذين دخلوا البلاد مع الطالعة الأولى من الفاتحين . وهى تنسب لحنش بن عبد الله الصنعانى (ت ١٠٠) ، وكان مع أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى الكوفة ، ثم من الثائرين مع عبد الله بن الزبير أيام حربه مع عبد الملك بن مروان ، وخرج بعد ذلك مع موسى بن نصير فى غزوه للمغرب ثم فى فتحه للأندلس ، وإليه يرجع الفضل فى تأسيس جامع سرقسطة . ويذكر عنه أنه كان يديم تلاوة القرآن الكريم ، ويؤثر عنه أنه كان يفسر ما ورد فى آية : ﴿ **الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار** ﴾ [1] بأنهم الذين ينفقون أموالهم فى علف الخيل . وهو تفسير يتفق مع طبيعة دوره فى الجهاد فى سبيل الله [2] .

---

(١) البقرة : ٢٧٤ .

(٢) ترجمة حنش الصنعانى فى ابن الفرضى رقم ٣٨٩ .

ولم يؤثر شيء من التفسير عن التابعين الآخرين الذين دخلوا الأندلس مع موسى بن نصير ، ولا عن العشرة الذين يذكر أن عمر بن عبد العزيز بعث بهم ليفقهوا أهل إفريقية والأندلس ، وإن كنا نعتقد أنه لابد أن يكونوا بحكم عملهم فى نشر الدعوة الإسلامية قد شاركوا فى التفسير ، فقد كان من بينهم من أخذوا عن بعض كبار الصحابة من مفسرى القرآن مثل حيَّان بن أبى جبلة (ت ١٢٢) الذى صحب عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص (رضى الله عنهم) [١] .

على أننا سرعان ما نجد مؤلفاً أصيلاً فى هذا الميدان فى أيام عبد الرحمن بن معاوية الداخل مجدد الدولة الأموية فى الأندلس ، ولم يمض على الفتح إلا ما يزيد قليلاً على نصف قرن ، ونعنى بهذا المؤلف التفسير الذى وضعه أبو موسى عبد الرحمن بن موسى الهوارى الإستجى [٢] . فى منتصف القرن الثانى الهجرى ، وهو تفسير ظل يتدارس حتى أواخر القرن الرابع ، فقد رواه عن مؤلفه فى بلده إستجة **ECIJA** مسيب بن سليمان ، وعنه ميكابيل بن هارون الإستجى [٣]

---

(١) ترجمة حيان بن أبى جبلة فى ابن الفرضى رقم ٣٨١ .

(٢)ترجمته فى ابن الفرضى ، رقم ٧٧٦ ، طبقات الزبيدى ص ٢٥٣ ، طبقات الداودى١/٢٩١.

(٣) ابن الفرضى فى الترجمتين ١٤٧٢ و ١٤٨٨ على التوالى .

وأهم من هذه الرواية تلك التى حملها الفقيه الكبير محمد بن أحمد العتبى (ت ٢٥٥) وعنه محمد بن عمر بن لبابة (ت ٣١٤) . وقد نص ابن الفرضى على أنه رأى بعض هذا التفسير غير أن قيمته العلمية لم تكن كبيرة على ما يبدو ، إذ لا نسمع له ذكراً بعد القرن الرابع ، كما أن الذين ترجموا لأبى موسى الهوارى ينصون على أن العبادة كانت أغلب عليه من العلم .

ونسمع بعد ذلك عن نتف من التفسير منسوبة لبعض الفقهاء الأندلسيين الذين عاشوا فى أواخر القرن الثانى الهجرى ، مثل أبى زكريا يحيى بن مضر القيسى الذى شارك فى ثورة الربض الأولى على الأمير الحكم بن هشام سنة ١٨٩ ، وانتهت هذه الثورة بصلب زعمائها ومنهم يحيى بن مضر نفسه . وكان قد رحل إلى المشرق ، فسمع من سفيان الثورى ومن مالك بن أنس . ويفخر الأندلسيون بأن الإمام مالكاً نفسه روى عنه تفسيراً " للطلح المنضود " (الوارد فى الآية ٢٩ من سورة الواقعة) إذ قال إنه الموز [(١)] .

وخلال النصف الأول من القرن الثالث نلتقى بشخصية العالم الموسوعى عبد الملك بن حبيب الإلبيرى (ت ٢٣٨) الذى لم يدع مجالاً من مجالات المعرفة إلا وكتب فيه [(٢)] . وينص الداودى

---

(١) ترجمة يحيى بن مضر فى ابن الفرضى ، رقم ١٥٥١ .

(٢) لعبد الملك بن حبيب ترجمات إضافية فى المصادر الأندلسية والمشرقية ، نكتفى منها بما ورد لدى ابن الفرضى ، رقم ٨١٤ وطبقات الداودى ٣٤٧/١ .

على أنه ألف تفسيراً للقرآن فى ستين كتاباً [1] . غير أن هذا التفسير على ما يبدو لم ينل حظوة من المشتغلين بالعلم فى العصور التالية لا سيما بعد أن أخذت على جهود ابن حبيب العلمية مآخذ كثيرة .

ويلى ذلك تفسير ألفه إبراهيم بن حسين .. بن مرتنيل القرطبى (ت ٢٤٩) وكان قد رحل إلى المشرق ، فلقى بمصر عبد الملك بن هشام مهذب سيرة ابن إسحاق وبعض أصحاب الإمام مالك ،وعاد فولى الشرطة للأمير محمد بن عبد الرحمن . أما التفسير الذى ألفه فيقول ابن الفرضى إنه روى عنه ، غير أننا لا نجد له ذكراً بعد ذلك فى المصادر الأندلسية [2] .

***

(١) طبقات الداودى ١/ ٢٥٠.

(٢) ترجمته فى ابن الفرضى رقم ١، طبقات الداودى ١/ ٦.

تفسير بقى بن مخلد القــرطــبى

ونفاجأ خلال القرن الثالث بعد هذه المحاولات المتواضعة فى التفسير بمؤلف يعد طفرة كبيرة فى هذا العلم بالأندلس، ونعنى به تفسير بقى بن مخلد القرطبى (ت ٢٧٦) . وكان بقى قد رحل إلى المشرق رحلتين قضى فيهما أربعة وثلاثين عاماً وسمع خلالهما عدداً من الشيوخ يبلغ ٢٨٤ رجلاً ما بين محدثين وفقهاء ومفسرين، وعاد فانقطع للتدريس والتأليف بعد محنة كادت تودى به بسبب قدومه من المشرق بضروب من العلم لم يكن لفقهاء قرطبة بها عهد [1] . وكان من مؤلفات كتابه الكبير فى الحديث الذى كان مسندا ومصنفا فى الوقت نفسه، وقد عده ابن حزم فى طبقة صحيحى البخارى ومسلم ولا يقل شهرة عن كتابه هذا تفسيره الذى فضله الإمام ابن حزم أيضاً على كل ما ألف من تفاسير فى الشرق والغرب، بما فى ذلك تفسير

(١) لا يخلو كتاب أندلسى ولا معجم مشرقى من ترجمة لبقى بن مخلد والثناء على جهوده العلمية ولا سيما فى ميدان الحديث النبوى . ونكتفى بالإشارة إلى ترجمته فى ابن الفرضى، رقم ٢٨١، والصلة رقم ٢٨٠، طبقات الداودى ١١٦/١ .

ابن جرير الطبرى الذى توفى بعد بقى بثلث قرن (فى ٣١٠) [1] .

وعلى الرغم من جلالة قدر بقى وشهرته فإن الزمن لم يحتفظ لنا بتفسيره ، ربما ، بسبب ضخامته ، فقد كان حجمه لا يقل عن حجم تفسير الطبرى . ويبدو أن ضياعه كان فى فترة مبكرة ، إذ لا نجد له ذكراً بين كتب التفسير التى رواها ابن خير فى فهرسته . ولم نر من مظاهر الاهتمام بهذا التفسير إلا ما ورد فى بعض المصادر المتأخرة [2] من أن عبد الله بن حنين الكلاعى القرطبى " اختصر تفسير بقى وجود " . وقد أفرد ابن الفرضى ترجمة لهذا الفقيه [3] ، إلا أنه لم يذكر شيئاً من ذلك .

****

(١) رسالة ابن حزم فى فضل الأندلس ، وفى نفح الطيب ١٧٥/٣ وترجمة بقى فى المصادر السابق ذكرها .

(٢) الديباج المذهب ص ١٣٩ ، تذكرة الحفاظ ٨٩١/٣ ، طبقات الداودى ٢٢٧/١ .

(٣) تاريخ علماء الأندلس ، رقم ٦٦٩ .

جهود الرواة خلال النصف الأول
من القرن الرابع الهجرى

وربما كان إعجاب الأجيال التالية بتفسير بقى بن مخلد واعتدادهم به سببا فى إحجام الأندلسيين عن التأليف فى التفسير خلال النصف الأول من القرن الرابع ، إذ اقتصرت جهودهم على رواية ما عرف لديهم من كتب التفسير المشرقية . ومن تلك التفاسير :

١- التفسير المنسوب للصحابى عبد الله بن عباس (ت ٦٨) : رواه بالمشرق أبو زيد عبد الرحمن بن سعيد الجزيرى (ت ٢٦٥) من رواية محمد بن السائب الكلبى عن أبى صالح [1] . وعن أبى

(١) الغريب أن أكثر ما نسب إلى ابن عباس فى تفسير الطبرى قد ورد بهذا السند : المثنى بن إبراهيم (ت بعد ٢٤٠) عن أبى صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث بن سعد (ت٢٢٣) عن معاوية بن صالح (ت ١٥٨؟) عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس (انظر تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين ، ترجمة محمود فهمى حجازى ، المجلد الأول١/٦٦-٦٧) . ومعاوية بن صالح المذكور فى هذا السند هو الذى دخل الأندلس فى أيام عبد الرحمن الداخل وولى له القضاء ، وكانت وفاته بالأندلس . ومع ذلك فإن الأندلسيين لم يرووا عنه شيئاً .

زيد الجزيرى روى عنه هذا التفسير يحيى بن زكريا بن مطر القرطبى (ت ٣١٥) ، واستمرت روايته طوال القرن الرابع ، إذ كان يحدث به محمد بن سعدون الباجي (ت ٣٩٢) [١] .

٢- تفسير عبد الله بن نافع المدنى[٢] وكان ممن رواه أبو عيسى ابن يحيى بن عبد الله بن يحيى الليثى القرطبى (٣٦٧) الذى يقول عنه تلميذه ابن الفرضى إنه لم يشهد بقرطبة مجلساً أكثر بشراً من مجلسه ، وعنه سمع ابن الفرضى هذا التفسير [٣] .
كما رواه عنه أحمد بن محمد بن يوسف المعارفرى المعروف بالقشطيالى وابنه أبو عمرو عثمان المتوفى سنة ٤٣١ عن ثمانين سنة [٤] .

---

(١) تراجم أبى زيد الجزيرى ويحيى بن زكريا ومحمد بن سعدون فى تاريخ ابن الفرضى بأرقام ٧٨، ١٥٧٩، ١٣٨٩ على التوالى .

(٢) هناك أكثر من علم يحمل اسم عبد الله بن نافع ، أشهرهم القارئ المعروف ، وليس هو صاحب هذا التفسير ، والأرجح أن يكون عبد الله بن نافع بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ، وكان راوية ومحدثاً ، وتوفى فى أواخر القرن الثانى . وقد أورد كثيراً من أخبار الزبير بن بكار فى جمهرة نسب قريش وأخبارها (بتحقيق محمود شاكر ، الرياض ١٩٩٩ . انظر بصفة خاصة ١/١٥٢) . على أننى لم أجد ذكراً لمصنف له فى التفسير .

(٣) ترجمة أبى عيسى الليثى فى تاريخ ابن الفرضى رقم ١٥٩٥ .

(٤) ترجمته فى الصلة رقم ٨٧١ .

٣- تفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدنى [١] . (ت١٨٢) وقد رواه أيضاً يحيى بن عبد الله الليثى [٢] .

٤- تفسير يحيى بن سلام التيمى القيروانى (ت٢٠٠) [٣] . وكان راويه أيضاً أبو عيسى يحيى الليثى . وكان لهذا التفسير من بين الثلاثة الأخيرة حظوة عظيمة لدى الأندلسيين . وكان أول من أدخله إلى الأندلس اثنان من أهل بَجَّانة Pechina : أولهما على بن حسن المرى (ت ٣٣٥) رواه عن حفيد لمؤلفه يدعى يحيى بن محمد وعن أحمد بن موسى بن جرير القيروانى ، والثانى ياسين بن محمد الأنصارى (ت نحو سنة ٣٢٠)[٤] . وعلى علىّ

---

(١) محدث ومفسر روى عن أبيه ، وروى عنه عبد الله بن وهب وعبد الرزاق بن همام ، وأخرج له الترمذى وابن ماجه ، غير أنهم ضعفوه فى الحديث . ترجمته فى تهذيب التهذيب لابن حجر ١٧٧/٦ ، وميزان الاعتدال ٥٦٤/٢ وطبقات الداودى ٢٦٥/١ . وعن تفسيره انظر فؤاد سزكين ، المجلد الأول ٨٨/١ .

(٢) نص على ذلك ابن الفرضى فى ترجمته ليحيى (رقم ١٥٩٥) ، وكانت روايته له عن عم أبيه عبيد الله بن يحيى بن يحيى (ت ٢٩٨) ، غير أنه لم يبين اتصال سنده بعبد الرحمن ابن زيد المذكور .

(٣) أصله من البصرة وسكن القيروان حتى وفاته . ترجمته فى رياض النفوس للمالكى ١٨٨/١ ، ميزان الاعتدال ٢٩٠/٣ ، طبقات القراء ٣٧٣/٢ ، لسان الميزان ٢٥٩/٦ ، طبقات الداودى ٣٧١/٢ . ومن تفسيره قطع لا تزال مخطوطة فى القيروان وجامع الزيتونة بتونس . ولعله أقدم ما وصل إلينا من تفاسير .

(٤) فى ترجمة هذين الراويين انظر ابن الفرضى ٩١٩ و ١٦٤٢ على الترتيب .

ابن حسن البجانى سمعه أيضاً على بن عمر بن حفص الخولانى الإلبيرى (ت ٣٨٤) . ويقول ابن الفرضى إنه قرأ عليه التفسير المذكور بحاضرة إلبيرة سنة ٣٧٦ ، وأكمل قراءته فى ستة أيام ، وكان على بن عمر قد أكمل قراءته على المرى فى أحد عشر شهراً [١] . وظل هذا التفسير واسع الانتشار فى الأندلس حتى أواخر القرن السادس بشهادة ابن خير الإشبيلى الذى أورد له عدة روايات أندلسية ومشرقية [٢] . ويدل على اهتمام الأندلسيين به أن أحد كبار الفقهاء وهو محمد بن عبد الله بن عيسى المرى الإلبيرى المعروف بابن أبى زمنين (ت ٣٩٩) وضع مختصراً له ما زالت منه نسخ مخطوطة فى خزانة القرويين بفاس وفى المتحف البريطانى [٣] . كذلك كان ممن قاموا باختصار تفسير ابن سلام الفقيه المحدث القرطبى عبد الرحمن ابن مروان القنازعى (ت ٤١٣) ، وكان قد رحل إلى المشرق وإفريقية فأخذ هذا التفسير بالقيروان وعاد إلى الأندلس سنة ٣٧١ ، فاشتغل بالإقراء حتى وفاته [٤] .

---

(١) ترجمة على بن عمر فى ابن الفرضى ٩٢٨ .

(٢) فهرسة ابن خير ص ٥٦ .

(٣) ترجمة ابن زمنين فى الصلة رقم ١٠٤٧ ، والجذوة رقم ٥٣ ، والوافى بالوفيات ٢٢١/٣ . حول مختصره المذكور انظر كتاب فؤاد سزكين ، المجلد الأول ١٠٧/١ .

(٤) ترجمته فى الصلة رقم ٦٩٤ .

٥- تفسير المحدث عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١)[١] ، وكان محمد بن عبد السلام الخشني (ت ٢٨٦) قد رواه بالمشرق ، وعنه سمعه أحمد بن خالد بن الحُباب (ت٣٢٢) وروايته لهذا التفسير هي التي كان لها انتشار كبير في الأندلس حتى القرن السادس بشهادة ابن خير[٢] . وممن روى هذا التفسير أيضاً تمام بن عبد الله بن تمام المعافري الطليطلي (ت٣٧٧) ، كانت له رحلة إلى بلاد الشام ، فلقي بغزة أبا الحسن بن أبي عياش الذي كان يروي تفسير عبد الرزاق عن الظهراني عن مؤلفه . ونص ابن الفرضي على أنه كتبه بقرطبة عن تمام بالسند المذكور [٣] . وكان يرافقه في رحلته هاشم بن يحيى بن حجاج البطليوسي (ت ٣٨٥) فروى التفسير بنفس السند [٤] .

---

(١) محدث ومفسر روى عن ابن جريج والأوزاعي ومالك بن أنس وسفيان الثوري . ترجمته في وفيات الأعيان ٢١٦/٣ ، تذكرة الحفاظ ٣٦٤/١ ، شذرات الذهب ٢٧/٢ ، طبقات الداودي ٢٩٦/١ . وقد استوعب الطبري في كتابه تفسير عبد الرزاق كاملاً تقريباً . انظر تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ، المجلد الأول ١٨٤/١.

(٢) فهرسة ص ٥٤ حيث يورد له روايتين أندلسيتين ورواية مشرقية .

(٣) ترجمته في ابن الفرضي ، ٣٠٤ .

(٤) ابن الفرضي ، ١٥٣٩ .

٦- تفسير أحمد بن شعيب النسائى (ت ٣٠٣) [(١)] ، على أن دخول هذا التفسير إلى الأندلس كان متأخراً ، إذ كان أول من أدخله المحدث والمقرئ حاتم بن محمد بن الطرابلسى (ت ٤٦٩) ، وكان قد رحل إلى المشرق سنة ٤٠٢ ، فرواه بالقيروان عن الفقيه أبى الحسن على بن محمد القابسى . وعن طريق ابن الطرابلسى كانت رواية هذا التفسير التى وصلت إلى ابن خير [(٢)] . ولعل تأخر هذا التفسير فى الوصول إلى الأندلس - على الرغم من مكانة النسائى بصفته من أئمة الحديث - يرجع إلى ما عرف عنه من ميول شيعية ، بل إن إحدى الروايات حول وفاته تذكر أنه حدث فى بلاد الشام بفضائل الإمام على بن أبى طالب ، فثار عليه أموية أهل الشام فقتلوه .

٧- تفسير الحسن البصرى (ت ١١٠) [(٣)] ، وهو صاحب واحد من أقدم التفاسير . وكان عمرو بن عبيد المعتزلى أشهر رواة هذا

---

(١) محدث مشهور عاش طويلاً فى مصر ، اشتهر بمصنفه المعروف أحد كتب السنن الأربعة . وما زالت من تفسيره عدة نسخ مخطوطة . ترجمته فى وفيات الأعيان ٧٧/١، تذكرة الحفاظ ٦٩٨/١، شذرات الذهب ٢٣٩/٢ .

(٢) فهرسة ص ٥٨ .

(٣) ترجمته فى وفيات الأعيان ٦٩/١ ، تذكرة الحفاظ ٧١/١ ، طبقات القراء ٢٣٥/١ ، ميزان الاعتدال ٥٢٧/١ ، طبقات الداودى ١٤٧/١ .

التفسير . ومن المعروف أن الحسن كان شيخاً لعمرو هذا ولواصل بن عطاء ، وهما مؤسسا مذهب المعتزلة . وهذا هو ما جعل حاملي روايته ممن مالوا إلى ذلك المذهب [1] . فأول رواة تفسير الحسن هو خليل بن عبد الملك القرطبى المعروف بخليل الغفلة [2] الذى كان لا يتستر بمذهبه . ولهذا أخرجت كتبه بعد وفاته وأحرقت بالنار . وكانت روايته لتفسير الحسن عن طريق عمرو بن فائد ، ولكن ابن الفرضى لم يذكر اتصال سنده بالحسن . وقد أخذ هذا التفسير عن خليل مفكر معتزلى آخر هو يحيى ابن يحيى القرطبى المعروف بابن السمينة (ت ٣١٥)[3] . ويبدو أن الأندلسيين من أبناء الأجيال التالية تحاموا رواية هذا التفسير إذ لا نعود للسماع عنه فى الأندلس بعد ذلك .

---

(١) الغريب فى هذا الأمر أن الحسن البصرى منذ أن اعتزل واصل بن عطاء مجلسه كان من أشد المتمسكين بمذهب أهل السنة والمنددين بالواصلية حتى أنه ألف رسالة " فى الرد على القدرية " (المعتزلة) . ومع ذلك فقد تحامى الأندلسيون تفسيره ، وفى هذا دليل على مدى تشدد مالكية الأندلس .

(٢) ترجمته فى ابن الفرضى ، ٤١٧ . ولم يفدنا هذا المؤلف بتاريخ وفاته غير أن فى أخباره ما يدل على أنه كان معاصراً لبقى بن مخلد ومحمد بن وضاح ، أى أنه عاش فى القرن الثالث .

(٣) ابن الفرضى ١٥٧٨ .

٨ - تفسير محمد بن جرير الطبرى (ت.٣١) وهو إمام التفسير والحديث والتاريخ [1] ، وتفسيره هو أجل التفاسير بالمأثور . وقد اهتم الأندلسيون به منذ فترة مبكرة بعد وفاة الطبرى بسنوات قليلة . وكان أول من أدخله إلى الأندلس تلميذ مشرقى له هو أبو بكر أحمد بن الفضل الدينورى الذى كان قد لزم الطبرى أثناء إقامته فى مصر وخدمه وتحقق به وسمع عنه مصنفاته ، ثم قدم إلى الأندلس سنة ٣٤١ ، فأخذ عنه طلبة العلم بها حتى وفاته سنة ٣٤٩ [2] . ولم يكن أبو بكر الدينورى موضع ثقة من بعض علماء قرطبة ، فابن الفرضى يشكك فى روايته كتب الطبرى وينقل عن أحد الشيوخ قوله " لقد كان الدينورى بمصر تلعب به الأحداث ويتغامزون عليه ويسرقون كتبه ، وما كان ممن يكتب عنه بحال ، ثم قدم الأندلس ، فانجفل الناس إليه وازدحموا عليه " . وعلى الرغم من هذا الحكم القاسى فقد أخذ بعض كبار الفقهاء مثل يحيى بن هلال القرطبى (ت ٣٦٧) [3] . على أن هناك روايات أخرى لتفسير الطبرى كانت أوثق من رواية أبى بكر الدينورى هى التى

(١) ترجمته فى وفيات الأعيان ١٩١/٤ ، تاريخ بغداد ١٦٢/٢ ، معجم الأدباء ٤٠/١٨ ، تذكرة الحفاظ ٧١٠/٢ ، طبقات الداودى ١٠٦/٢ .

(٢) ترجمته فى ابن الفرضى رقم ٢٠٢ .

(٣) ابن الفرضى ، رقم ١٥٩٤ .

اضطلع بها سليمان بن محمد الهمدانى الشذونى وأخوه يوسف ابن محمد ، وكانا قد رحلا إلى المشرق سنة ٣٣٤ فسمعا بمصر كتب الطبرى من صاحبه أبى محمد عبد الله بن أحمد الفرغانى وهو مؤلف " صلة " تاريخه ، وانصرفا إلى الأندلس فى سنة ٣٣٧. ومات سليمان سنة٣٧١ ، وأما يوسف فقد كان أكثر عناية بكتب الطبرى ، إذ يذكر ابن الفرضى عنه أنه كتب تفسير الطبرى وتاريخه وبعض تهذيب الآثار وكتاب اختلاف العلماء (١) .

على أن هناك رواية أخرى لتفسير الطبرى نسخت كل الروايات السابقة وأصبحت معتمد الأندلسيين فى دراسة الكتاب ونقله ، وهى التى أخذها عبد الرحمن بن مروان الأنصارى القنازعى القرطبى . وكان قد رحل إلى المشرق سنة ٣٦٧ ، فلقى بمصر أبا الطيب أحمد بن سليمان الجريرى (٢) . فروى عنه التفسير . وهذه الرواية هى التى انتهت إلى ابن خير الإشبيلى . بإسنادين مختلفين (٣) .

---

(١) فى ترجمة هذين الأخوين انظر ابن الفرضى ، رقمى٥٦٣ و١٦٣٤على التوالى.

(٢) هو تلميذ الطبرى محمد بن جرير وراوية كتبه ، وكان يلقب بالجريرى نسبة إلى اسم شيخه ، لملازمته إياه وروايته لكتبه . انظر كتاب الإكمال لعلى بن هبة الله بن ماكولا ، ط. حيدر أباد ١٩٧٣ - ٢/٢٠٧ .

(٣) ترجمة عبد الرحمن القنازعى فى الصلة رقم ٦٩٤ . ورواية التفسير فى فهرسة ابن خير ص ٥٨ .

مختصرات الطبرى

ومن مظاهر اهتمام الأندلسيين بهذا التفسير أننا نعرف له ثلاثة مختصرات من تأليفهم . أولها لأحمد بن عبد الله بن أيوب الذهبى الأموى القرطبى الذى ولد سنة ٣٢٣ . وكانت وفاته فى أواخر القرن الرابع [1] .

والثانى هو الذى وضعه أبو يحيى محمد بن أحمد بن صمادح التجيبى أحد أمراء الطوائف ، كان حاكماً على مدينة وشقة **Huesca** من مدن الثغر الأعلى ، ولكنه تنازل عنها مضطراً لابن عمه منذر بن يحيى التجيبى ملك سرقسطة ، وكان مع رياسته من أهل العلم والأدب ، وقام بتأليف مختصره لتفسير الطبرى موجهاً اهتمامه إلى شرح غريب القرآن بصفة خاصة . وتوفى أبو يحيى غريقاً بين جزيرة يابسة **Ibiza** وساحل الأندلس سنة ٤١٩ . وقد روى عنه كتابه ابنه معن بن محمد أمير مدينة المرية **Almeria** المتوفى سنة ٤٤٣ ، وعن معن رواه ابنه محمد الملقب بالمعتصم آخر أمراء المدينة حتى

(١) ترجمته فى الصلة رقم ٣١ .

فتح المرابطين للأندلس سنة ٤٨٤ (١) . وقد وصل إلينا هذا الكتاب فى مخطوطة نادرة بالمكتبة المتواكلية بصنعاء اليمن ، وقام بتحقيقه محمد حسن فى مجلدين ونشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٠(٢) .

ويلى هذا الكتاب مختصر ثالث وضعه محمد بن أحمد بن عبد الله النحوى المعروف بابن اللجالش من مدينة المرية ، وكان قد رحل إلى المشرق ، فاستوطن مكة ، وكان الأندلسيون يرحلون إلى مكة للأخذ عنه . وتوفى سنة ٤٩٠ (٣) .

- تفسير القرآن المسمى " شفاء الصدور " لأبى بكر محمد بن الحسن النقاش الموصلى (ت ٣٥١) (٤) وهو مقرىء ومحدث أيضاً ، كان إمام أهل العراق فى القراءات والتفسير ، وأما كتابه " شفاء الصدور " فكان بالغ الضخامة ، إذ يذكر أنه بلغ نحو اثنتى عشرة ألف ورقة . وكان الذى أدخله إلى الأندلس عالم

---

(١) فى تراجم هؤلاء الأمراء الثلاثة انظر التكملة لابن الأبار : ترجمة أبى يحيى مؤلف الكتاب ، رقم ٤٠٩ ، وابنه معن رقم ١١٥٨ ، وابنه محمد المعتصم رقم ٤٧٧ .

(٢) قام الباحث المغربى عبد السلام الكنونى بوصف لهذا المختصر وتحليل مادته وعرض نموذج منه فى دراسته " المدرسة القرآنية فى المغرب " ص ١٩٤ - ١٩٨ .

(٣) ترجمته فى الصلة رقم ١٢٢٥ .

(٤) ترجمته فى وفيات الأعيان ٤٢٥/٣ ، تاريخ بغداد ٢٠١/٢ ، طبقات القراء ١١٩/٢ ، تذكرة الحفاظ ٩٠٨/٣ ، طبقات الداودى ١٣٢/٢ .

مشرقى هو على بن إبراهيم التبريزى المعروف بابن الخازن ، وكان قدومه إلى الأندلس سنة ٤٢١ ، فاستقر فى طليطلة ، وكان قد روى الكتاب عن أبى الحسن محمد بن أحمد المحاملى عن مؤلفه . وعن الخازن أخذه اثنان من كبار العلماء : حاتم بن محمد الطرابلسى (ت ٤٦٩) وأبو بكر محمد بن هشام المصحفى (ت ٤٨١) ، وعن طريقهما وصلت رواية الكتاب إلى ابن خير الإشبيلى [(١)] . هذا على الرغم من أن الكتاب كان موضع نقد عنيف من جانب بعض العلماء حتى سماه بعضهم " شقاء الصدور " ، وذلك بسبب ما تضمنه من أحاديث ضعيفة ، وقال الذهبى عن مؤلفه " متروك وليس بثقة على جلالته ونبله " ولعل شهرة هذا الكتاب هى التى حملت أحد كبار علماء الأندلس المهتمين بعلوم القرآن وهو عبد الرحمن بن محمد بن عتاب القرطبى (ت ٥٢٠) على أن يتخذ من عنوان كتاب ابن النقاش اسماً لكتاب ألفه فى الزهد والرقائق [(٢)] .

- تفسير " الكشف والبيان عن تفسير القرآن " لأبى إسحاق

---

(١) فهرسة ص ٥٧ . وقد مرت بنا ترجمة ابن الطرابلسى ، وأما أبو بكر المصحفى فترجمته فى الصلة رقم ٩١١.

(٢) ترجمة ابن عتاب فى الصلة رقم ٧٤٧ وطبقات الداودى ١/٢٨٥.

أحمد بن محمد الثعلبي النيسابوري (ت ٤٢٧) [1] ، ويوصف تفسيره بأنه " فاق غيره من التفاسير " . على أنه لم يدخل الأندلس إلا متأخراً ، إذ كان أول من رواه ونشره أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤) وعنه أخذه ابن خير [2] .
وقد قام باختصار هذا الكتاب أندلسي من المهاجرين إلى المشرق ، هو الفقيه أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي الذي صحب أبا الوليد الباجي بسرقسطة ، ثم رحل فدخل بغداد والبصرة وأقام سنوات في بلاد الشام واستقر أخيراً في مصر حتى وفاته بالإسكندرية سنة ٥٢٠ [3] . وفي المشرق التقى به أبو بكر محمد بن عبد الله .. ابن العربي الإشبيلي الذي رحل مع أبيه سنة ٤٨٥ ، فدخل بغداد وصحب أبا حامد الغزالي ، ثم مر

---

(١) ترجمته في معجم الأدباء ٥/٣٦ ، وفيات الأعيان ١/٧٩ ، طبقات القراء ١/١٠٠ ، طبقات الشافعية ٤/٥٨ . وقد وصل إلينا هذا التفسير شبه كامل في مخطوطات عديدة في مكتبة الأزهر ودار الكتب وغيرهما من خزائن الكتب . انظر فهرس المخطوطات المصورة بمعهد إحياء المخطوطات العربية ، تصنيف فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٥٤-١/٣٧-٣٨ .

(٢) فهرسة ص ٥٩ .

(٣) في ترجمة الطرطوشي انظر وفيات الأعيان ٤/٢٦٢ ، والصلة رقم ١٢٦٩ ، وحُسن المحاضرة ١/١٩٢ ، ونفح الطيب ٢/٨٥ .

فى طريق عودته إلى بلده ببيت المقدس فصحب بها أبا بكر الطرطوشى سنة ٤٨٧ وأخذ عنه مختصره لكتاب الثعلبى . وعاد ابن العربى إلى الأندلس سنة ٤٩٣ ، وكانت وفاته بفاس سنة ٥٤٣ . وعن ابن العربى أخذ ابن خير مختصر الطرطوشى المذكور [1] .

- النكت فى تفسير القرآن لأبى الحسن على بن محمد الماوردى [2] (ت ٤٥٠) وهو أيضاً من الكتب التى لم تدخل الأندلس إلا فى فترة متأخرة ، بعد وفاة صاحبه بنحو قرن ، هذا مع أن أحد الأندلسيين وهو على بن أبى القاسم بن عبد الله السرقسطى قد أخذ الكتاب مباشرة عن مؤلفه ، وكان قد عاد إلى الأندلس ، فسكن طليطلة وأقرأ الناس بها حتى وفاته بقرطبة سنة ٤٧٢ [3] . غير أنه لم يعرف عنه إقراء هذا الكتاب ، ولم تحدثنا المصادر عمن رواه عنه . ثم دخل بعده بالكتاب أيضاً

---

(١) فهرسة ص ٥٩ .

(٢) أبو الحسن الماوردى ، من وجوه فقهاء الشافعية وهو مفسر ومؤرخ وأديب ، ولى القضاء فى بلدان شتى ثم سكن بغداد ، وهو صاحب كتاب " الأحكام السلطانية " . ترجمته فى تاريخ بغداد ١٢ / ١٠٢ ، وفيات الأعيان ٣/ ٢٨٢ ، طبقات الشافعية ٥/ ٢٦٧ ، ميزان الاعتدال ٣/ ١٥٥ ، طبقات الداودى ١/ ٤٢٣ .

(٣) ترجمته فى الصلة رقم ٨٩٦ .

يوسف بن على القضاعى الأندى المعروف بالقفَّال ، وكان قد رحل إلى المشرق بعد سنة ٥٠٠ ، فسمع هذا التفسير من أبى محمد القاسم بن على الحريرى صاحب المقامات عن الماوردى ورجع إلى الأندلس ، فاستوطن المرية حتى وافته منيته شهيداً حينما تغلب الأنفونش (ألفونسو السابع) على المرية سنة ٥٤٢[1] . ولعل السبب فى تأخر هذا التفسير فى الوصول إلى الأندلس هو ما اتهم به الماوردى من الاعتزال . وللمحدث ابن الصلاح الشهزورى تحقيق حول هذه المسألة يقول فيه إنه كان يحسن الظن به حتى وجده يختار فى بعض المواضع من تفسيره أقوال المعتزلة و " ما بنوه على أصولهم الفاسدة "، ولهذا وصف هذا التفسير بأنه " عظيم الضرر لكونه مشحوناً بتأويلات أهل الباطل[2] . على أن ابن الصلاح اعترف بأن الماوردى لم يكن معتزليا مطلقاً ، إذ لم يكن يوافقهم فى جميع أصولهم مثل خلق القرآن على حين كان يوافقهم فى القدر ، أى حرية الإرادة . وكان قد أخذ ابن خير التفسير المذكور عن يوسف بن على القضاعى المذكور [3] .

---

(١) ترجمته فى التكملة رقم ٢٠٧٦ .

(٢) ورد هذا التحقيق فى طبقات الشافعية ٢٧٠/٥ .

(٣) فهرسة ابن خير ص ٥٩ .

تفسير الزمخشري

ومن آخر كتب التفسير المشرقية التي دخلت الأندلس في أواخر القرن السادس تفسير الزمخشري (ت٥٣٨) [1] المعروف " بالكشاف عن حقائق التنزيل " وهو تفسير التزم بمبادئ المعتزلة التي كان الزمخشري يجاهر بها ، غير أنه من أكثر التفاسير عناية ببيان أوجه الإعجاز القرآني في نظمه وبلاغته ، وهذا هو ما جعل المشتغلين بالدراسات القرآنية قديماً وحديثاً من أهل السنة لا يرون بأساً في الانتفاع من تفسير الزمخشري والنقل عنه والاحتجاج بآرائه فيما يتعلق بالبيان القرآني . ويكفي أن نشير إلى كثرة النقول عنه في كتب الإمام جلال الدين السيوطي في كتبه الكثيرة المتعلقة بالقرآن الكريم[2] .

---

(١) محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، نحوي لغوي ، ولد سنة ٤٦٧ ، وقدم بغداد فأخذ عن علمائها ، وكان متفنناً في علوم كثيرة ، معتزلياً مجاهراً بمذهبه إليه . من تصانيفه معجم أساس البلاغة ، والفائق في غريب الحديث ، والمفصل في النحو والمستقصى في الأمثال ، ومن أشهر كتبه الكشاف في التفسير . ترجمته في وفيات الأعيان ١٦٨/٥ ، تذكرة الحفاظ ٢٣٨/٤ ، لسان الميزان ٤/٦ ، طبقات الداودي ٣١٤/٢ .

(٢) انظر على سبيل المثال الإتقان في علوم القرآن ، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٦٧- ١٧٢/١ . ٢٢٥ ، ٢٢٩/٢ ، ١٤١/٣ . ١٦١ . ١٩٤ ، ٢٨١ ، ٣١٣ .

وكان أول من أدخل هذا التفسير إلى الأندلس اثنان من طلبة العلم هما أبو بكر محمد بن أحمد الكنانى الذى استشهد فى وقعة بين المسلمين وأعدائهم سنة ٦٠٨ ، وأبو العباس أحمد الحضرمى الإشبيلى المعروف بابن رأس غنمة (ت ٦٤٣) . وكانا قد رحلا إلى المشرق فى حدود سنة ٥٩٥ ، فأخذا عن الشيوخ فى مصر . ولهما فى صحبتهما خبر طريف يدل على مدى عناية طلبة العلم الأندلسيين باستغلال وجودهم فى المشرق إلى أقصى حد ممكن . فقد توافقا على أن ينسخ أحدهما أو يقابل من الكتب غير ما ينسخ رفيقه أو يقابله استعجالاً لتحصيل الفائدة ، حتى إذا عادا إلى بلدهما انتسخ كل واحد منهما ما فاته نسخه فى المشرق . فكان مما أدخلاه بلدهما " غرائب لا عهد لأهل الأندلس بها " . ومن هذه الغرائب كتاب الكشاف لجارالله الزمخشرى . وكان أبو العباس بن رأس غنمة هو الذى تولى نسخه من الأصل المحبس (أى الموقوف) بمدرسة القاضى الفاضل بالقاهرة ، وكان أصلاً قرئ على مصنفه(١) .

وقد سبق أن أشرنا إلى تشدد الأندلسيين فى موقفهم من الاعتزال ومن سائر الفرق التى عدوها بدعاً ضالة . ولهذا فإن إدخال كتاب الزمخشرى كان موضع إدانة من جانب بعض

---

(١) فى ترجمة ابن رأس غنمة انظر الذيل والتكملة لابن عبد الملك ، السفر الأول - رقم ١٢ ص ٢٨ - ٣٢ . وفى ترجمة صاحبه محمد بن أحمد الكنانى الذيل والتكملة ، السفر السادس رقم ٥٧ ص ٣٣ .

الفقهاء ، ومنهم أبو الحسين محمد بن محمد بن زرقون الإشبيلي [1] الذى نعى على ابن رأس غنمة جلبه للكشاف فقال : " قد كانت الأندلس منزهة عن هذا وأشباهه . ولم يزل أهلها على مرور الأيام أغنياء عن النظر فى مثله ، وإن فى غيره من تصانيف أهل السنة فى التفسير غنية عنه [2] . على أن ابن عبد الملك المراكشى - وهو أيضاً من أهل السنة المتشددين - يبدى قدراً من التسامح إزاء تفسير الزمخشرى ، إذ يقول بعد أن ساق تلك العبارة : " وفى الكتاب المذكور جملة كبيرة جلية وخفية مما أشار إليه أبو الحسين ، ولكنه على ذلك مترع فوائد ، ومشحون غرائب علمية لا توجد مجموعة فى كتاب غيره البتة ، سوى ما اختص به من كثير مما احتوى عليه من التنبيه على حسن نظم القرآن العظيم ، والإرشاد إلى بديع وصفه ، والكشف عن وجوه إعجازه . والله يسمح للجميع ، ويتقبل عنهم أحسن ما عملوا ، ويتجاوز عن سيئاتهم " .

****

---

(١) أبو الحسين بن زرقون فقيه سنى من أسرة علم وفقه ، ولى القضاء فى بعض كور إشبيلية ، توفى سنة٦٢١ . ترجمته فى التكملة لابن الأبار ، رقم ٩٦٧ ، طبقات القراء ٢٤٠/٢ ، برنامج شيوخ الرعينى ، تحقيق إبراهيم شبوح ، دمشق ١٩٦٢ ، ص٣١ .

(٢) الذيل والتكملة ٣٠/١-٣٢ .

الكشاف ومذاهب المعتزلة

ودخول كتاب مثل الكشاف لمؤلف مجاهر بمذهبه الاعتزالي إلى الأندلس بعد أن ظلت على مدى قرون طويلة " منزهة عن هذا وأشباهه " يثير قضية جديرة بأن تطرح ، وهى متعلقة بموقف دولة الموحدين من هذا المذهب ، ولا سيما فى أواخر القرن السادس فى ظل الخليفتين يوسف بن عبد المؤمن وابنه يعقوب المنصور (بين سنتى ٥٥٨و٥٩٥) . وكانت دولة المرابطين التى حكمت الأندلس والمغرب منذ أواخر القرن الخامس حتى منتصف السادس تقرب فقهاء المالكية حتى أصبح أمراؤها لا ينفذون أمراً إلا بمشورة هؤلاء الفقهاء ، غير أن الوضع اختلف فى ظل الموحدين ، ولا سيما على أيام الخليفتين المذكورين ، إذ ضاقا بنفوذ الفقهاء ، وقربا إليهما من يشتغلون بالعلوم العقلية والفلسفية ، فكان يوسف بن عبد المؤمن نفسه مولعاً بجمع هذه الكتب ، وكان من أحظى العلماءعنده الفيلسوفان أبو بكر بن طفيل وتلميذه أبو الوليد ابن رشد ، بل إنه هو الذى اقترح على ابن رشد تلخيص كتب أرسطو طاليس (١) . أما فى أيام يعقوب المنصور فقد زادت

---

(١) انظر فى ذلك المعجب لعبد الواحد المراكشى ، تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ١٩٦٣ ،ص ٢١٠-٢١٦ .

العداوة لفقهاء المالكية حتى إن المراكشي يقول إن في عهده " انقطع علم الفروع ، وخافه الفقهاء ، وأمر بإحراق كتب المذهب المالكي .. وكان قصده محو مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة ، وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث "(1).
ومن هنا شجع فقهاء الظاهرية من أصحاب ابن حزم حتى إنه أراد أن يفرض مذهبهم ، وزاد تقريباً للمشتغلين بالفلسفة وغيرها من العلوم العقلية . ولا شك أن هذا الاتجاه الجديد غير المألوف في المغرب شجع ذوى الاتجاه الاعتزالي على المجاهرة بآرائهم ، على حين وقعت المحنة على كثير من فقهاء المالكية . ومنهم ابن زرقون نفسه الذي أُمتحن بسبب تعصبه للمذهب واعتقل مدة بسبتة على ما يذكر ابن الأبار .

وفيما ذكرناه ما يفسر دخول " الكشاف " وأمثاله من كتب المعتزلة والفلاسفة إلى المغرب ، وإعراب الفقهاء عن معارضتهم الصريحة لهذا الاتجاه ، كما رأينا في عبارات الفقيه ابن زرقون الجريئة التي واجه فيها السلطان بشجاعة عرضته للمحنة ، كما يذكر أيضاً عن هذا الفقيه أن من تواليفه كتاباً في الرد على ابن حزم صاحب المذهب الظاهري الذي كانت الدولة عازمة على فرضه . وقد كان موقفه هذا امتداداً لموقف أبيه محمد بن سعيد ابن زرقون (ت ٥٨٦) من أبي الوليد بن رشد الحفيد ، إذ كان من أشد الفقهاء عداوة له ، حتى إنه اتهمه في كتابه "بداية المجتهد" بالسطو على مؤلف في الخلاف بين فقهاء الأمصار لفقيه

(1) المعجب ص ٣٥٤ - ٣٥٥ .

خراسانى (١) .

وقد رأينا أن بعض الفقهاء الأندلسيين والمغاربة قد اعترفوا بما فى كتاب الكشاف من الفوائد كما جاء في شهادة ابن عبد الملك المراكشى التى سبق لنا إيرادها ، هذا مع إنكارهم ما تضمنه من الآراء المعتزلية . ومن هنا تعددت ردود الفعل إزاء الكتاب وصاحبه . فهناك من تصدى لتفنيد تأويلاته الاعتزالية مثل أبى بكر يحيى بن أحمد السَّكونى اللبلى (ت٦٢٦) قاضى جيَّان والجزيرة الخضراء وشريش (٢) الذى ألف كتاباً علق به على الكشاف سماه " الحسنات والسيئات" ، ويقول عنه ابن الزبير : انتقى فيه مستطرف غرائبه البيانية وأبدى فيه أيضاً ما تضمنه من سوء انتحاله ، فى ركيك اعتزاله " ، وهو كتاب يذكر الدكتور محمد بن شريفة أن منه نسختين مخطوطتين فى الخزانة العامة والخزانة الملكية بالرباط (٣) .

وألف فى هذا الموضوع أيضاً قريب للمتقدم ذكره هو الفقيه أبو على عمر بن محمد بن خليل السكونى نزيل تونس ، وعنوان

---

(١) فى ترجمة محمد بن سعيد بن زرقون انظر التكملة لابن الأبار ، رقم ٨٢٤ ، الذيل والتكملة ، السفر السادس رقم ٥٩٧ . وعن قضية اتهام ابن رشد بالسرقة انظر بحثنا بعنوان " فقه ابن رشد :قراءة فى كتاب بداية المجتهد " فى الندوة التراثية الأولى عن ابن رشد الطبيب والفقيه والفيلسوف التى عقدتها المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية فى الكويت سنة ١٩٩٥ ، ص ٣٩٩ - ٤٠١ .

(٢) ترجمته فى التكملة رقم ٢٠٦٥ ،وصلة الصلة لابن الزبير ،القسم الثانى رقم ٣٨٥ .

(٣) فى تحقيقه للسفر الأول من الذيل والتكملة ص ٣١ ، حاشية ٤ .

كتابه " التمييز لما أودعه الزمخشري من الاعتزال في الكتاب العزيز " . وذكر أحمد بابا التنبكتي أنه وقف عليه وهو في سفرين [1] . وهناك من جمع بين تفسيري الزمخشري وابن عطية ، ومنهم عبد الله ابن محمد المعروف بابن الكمَّاد الإشبيلي (ت ٦١٨) ، وكذلك عبد الكبير بن محمد بن بقي الغافقي (ت ٦١٧) [2]، وهو صاحب كتاب مماثل سمع منه بعضه أبو الحسن علي بن محمد الرعيني كما نص على ذلك في برنامجه [3] :

كذلك شرع في الجمع بين الكتابين أبو الحسن علي بن محمد الجيَّاني (ت ٦٦٣) فأنجز منه جملة بشهادة تلميذه ابن عبد الملك المراكشي ولكنه لم يتمه [4] .

وقد بلغ من كراهية الأندلسيين والمغاربة للزمخشري بسبب ما تضمنه تفسيره من آراء حول ذات الله وصفاته أن أثير في القرن السابع سؤال استفتي فيه العلماء وهو "هل الحجَّاج [ابن يوسف الثقفي] أعظم معصية من الزمخشري أوالعكس ؟ " . ووقع الجواب عنه على النحو التالي : " إن قلنا بأن مذهبه يقود إلى الكفر فهو أعظم ، وإن قلنا يقود إلى الفسق فيقع التردد في الترجيح ، لأن معصية الزمخشري مما يرجع إلى الذات الإلهية ،

(١) نيل الابتهاج لأحمد بابا التنبكتي ، على هامش الديباج المذهب ص ١٩٥ .

(٢) التكملة لابن الأبار ، رقم ١٤٤٠ .وسوف نعرض لتفسير ابن عطية فيما بعد .

(٣) برنامج شيوخ الرعيني ص ٣٩ ، وترجمة عبد الكبير المذكور في التكملة رقم ١٨٢١ وفي الذيل والتكملة ،بقية السفر الرابع رقم ٤٠٧ .

(٤) ترجمته في الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، رقم ٥٧٩ .

ومعصية الحجاج بالجوارح ، لكنها يتعلق بها حق المخلوقين .. وبكفره [بكفر الحجاج] كان يصرح الشيخ ابن عرفة وغيره من معاصريه [1] .

وكما تحامى الأندلسيون تفاسير المعتزلة فقد أعرضوا كذلك عن كل من كانوا - في تشددهم السني - يعدونهم من أصحاب الأهواء والبدع ، فلم تُعرف لديهم تفاسير الشيعة أو غيرهم من الفرق الإسلامية . وكان موقفهم مماثلاً لذلك إزاء المتصوفة ، هذا وإن كانت آراء بعض المذاهب الصوفية قد دخلت الأندلس منذ أواخر القرن الثالث ، وتأثر بها مفكرون أندلسيون مثل ابن مسَّرة الجبلي (ت ٣١٩) الذي كان مذهبه مزاجاً غريباً من الاعتزال والتشيع والتصوف . هذا مع أنه كان في اتجاهه الصوفي متأثراً بذي النون المصري ، وهو من معتدلي الصوفية ومن أقربهم إلى أهل السنة . ومع ذلك فقد كان مذهب ابن مسرة موضعاً للإدانة والإنكار لا من جانب الفقهاء المالكية فحسب ، بل كذلك من قِبل الدولة نفسها [2] .

---

(١) ورد السؤال والجواب بغير تحديد للسائل ولا المفتي في المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب " لأحمد بن يحيى الونشريسي ، بيروت ١٩٨١ بإشراف محمد حجي ، الجزء الرابع ، ص ٢٦١ . وأما الشيخ ابن عرفة فهو الفقيه الأصولي التونسي محمد بن محمد بن عرفة (ت ٨٠٣) .

(٢) عن ابن مسرة ومذهبه انظر بحث المستشرق الأسباني ميجيل أسين بلاثيوس " ابن مسرة ومدرسته " في " أعماله المختارة " .

Miguel Asin palacios : Abenmasarra y su escuela, en Obras escohidas, vol.I, Madrid, 1946.

فى عصر ملوك الطوائف

غير أن الأمر تغير فى عصر ملوك الطوائف خلال القرن الخامس ، حينما تسامح هؤلاء الأمراء مع التيارات الفكرية المخالفة لمذهب أهل السنة والوافدة من المشرق ، ومنها كتب الفلسفة والتصوف ، وإذا كانت دولة المرابطين التى قضت على ملوك الطوائف قد عادت إلى التشدد السنى فى معارضة كل ما تُشْتَمُّ منه رائحة البدعة فإن ذلك لم يمنع من قيام مدرسة صوفية لم تلبث أن ازدهرت فى ظل دولة الموحدين. وكان من أعلام هذه المدرسة عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبى الرجال اللخمى المعروف بابن بَرَّجان الإشبيلى (ت ٥٣٦) (١) . ولعله أول من ألف تفسيراً صوفياً كاملاً للقرآن الكريم فى الأندلس .

وهو تفسير يقول عنه ابن خلكان :" وأكثر كلامه فيه على طريق أرباب الأحوال والمقامات " . ومع ذلك فقد لقى هذا التفسير قبولاً عظيماً من جانب علماء السنة ، فابن الزبير يقول عنه إنه " كان متقيداً فى نظره بظواهر الكتاب والسنة بريا من تعمق الباطنية .. شديد التمسك بالكتاب والسنة ، جاريا فى تأويل ذلك على طريقة السلف وعلماء المسلمين وما عليه السواد الأعظم ، ثم مبديا من وجوه التأويل ، وفهم

(١) فى ترجمة ابن برجان انظر التكملة رقم ١٧٩٧ ، وفيات الأعيان ٢٣٦/٤ ، فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى ٢٢٣/٢ ، صلة الصلة لابن الزبير ، القسم الثانى رقم ٤٥ ، شذرات الذهب ١١٣/٤ ، لسان الميزان ١٣/٤ ، طبقات الداودى ٣٠/١.

آيات التنزيل ما يجرى على المعروف ، ولا ينافر المألوف ، من غير تعارض ولا مخالفة " . وهذا الحكم من جانب إمام سنى سلفى مشارك أيضاً فى ميدان التفسير بكتاب معروف [(١)] يدل على تغير نظر الأندلسيين إلى التصوف المعتدل . ولابن برجان كتاب آخر فى شرح الأسماء الحسنى لم يسلم من بعض النقد ، إذ عليه فيه استعمال الحرف فى تفسير القرآن .

ومن هذه التفاسير ذات النزعة الصوفية المعتدلة " شجرة الوهم المترقية إلى ذروة الفهم" الذى ألفه محمد بن يوسف بن سعادة الشاطبى وهو فقيه محدث مفسر أخذ عن أبى على الصدفى وأبى الوليد بن رشد (الجد) ، ورحل فأخذ بالمشرق عن الشيوخ بمصر ومكة ، وعاد فولى الشورى والقضاء بمرسية وشاطبة فى ظل دولة الموحدين ، وكانت له حظوة عند الخاصة والعامة ، وتوفى بشاطبة سنة ٥٦٦ . ولم يصل إلينا كتابه المذكور حتى يصح حكمنا على مضمونه ، ولكننا لا نعرف عن علماء عصره اعتراضاً عليه على الرغم من عنوانه المثير لبعض الشبهات [(٢)] .

---

(١) أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطى (ت ٧٠٨) مقرئ مفسر محدث مؤرخ ، وهو أستاذ أثير الدين أبى حيان صاحب " البحر المحيط " فى التفسير (ترجمته فى طبقات الداودى ٢٦/١) وهو صاحب كتاب " ملاك التأويل فى توجيه متشابه اللفظ من آى التنزيل " ، وقد قام بتحقيقه سعيد الفلاح ونشر فى مجلدين فى بيروت سنة ١٩٨٣ .

(٢) ترجمة ابن سعادة فى التكملة رقم ٧٤٦ ، معجم أصحاب أبى على الصدفى ، نشر كوديرا مدريد ١٨٨٦ ، رقم ١٥٨ ، الديباج ٢٨٧ ، طبقات الداودى ٢٨٠/٢ .

التصوف الفلسفى الباطنى

وأما التصوف الفلسفى الباطنى فقد ظل مرفوضاً من قبل جمهور الأندلسيين المتمسكين بمذهب السلف ، ولهذا فقد اضطر الآخذون به إلى الهجرة من وطنهم إلى المشرق . ومن أصحاب التفاسير المنتمية إلى هذا الاتجاه اثنان متعاصران كلاهما من أهل مرسية وممن اتهموا بالزندقة . أولهما على بن أحمد التحيى الحرالّى المرسى (ت٦٣٨) (١) . وعلى تفسيره اعتمد إبراهيم بن عمر البقاعى (ت٨٨٥) فى كتابه " نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور " ، غير أن علماء السلفية أنكروا ما تضمنه تفسيره من " غرائب " ، ومنهم عز الدين بن عبد السلام وابن تيمية والذهبى .

---

(١) أصله من الأندلس ، من قرية حرالّة (تصغير حارة أضيفت إليها لاحقة التصغير العجمية ella) من أعمال مرسية ، ولكنه ولد فى مراكش ، وقرأ على علماء الأندلس والمغرب ورحل إلى المشرق ثم عاد إلى مدينة بجاية (بالمغرب الأوسط) ، غير أنه أخرج منها ، فرجع إلى المشرق واستقر فى مدينة حماة حتى وفاته . ترجمته فى عنوان الدراية للغبرينى ، تحقيق عادل نويهض ، بيروت ١٩٦٩ رقم ٣١ ص ١٤٣ ، ونفح الطيب ١٨٧/٢ . وقد قام بتحقيق ما بقى من تراثه ومن تفسيره المفقود محمادى بن عبد السلام الخياطى ، الدار البيضاء ١٩٩٧. انظر تصدير هذا الكتاب للدكتور محمد بن شريفة .

والثانى هو محيى الدين بن عربى المرسى (ت٦٣٨) [1]، وعنوان تفسيره " الجمع والتفصيل فى أسرار معانى التنزيل " ، كما أنه له كتباً أخرى كثيرة أكبرها " الفتوحات المكية " الذى ضمنه كثيراً مما يدخل فى باب التفسير . وقد تفاوتت مواقف علماء المسلمين منه ، فمنهم من حمل عليه واتهمه بالزندقة ، ومنهم من أحسن الظن به وتأول له ما فى تفسيره وكتبه الأخرى من شطحات .

***

---

(١) محمد بن على الحاتمى الطائى المشهور بمحيى الدين بن عربى المرسى (المتوفى بدمشق) : مصادر ترجمته كثيرة جداً . انظر على سبيل المثال الذيل والتكملة السفر السادس رقم ١٢٧٧ ، نفح الطيب ١٦١/٢ ، الوافى بالوفيات ١٧٣/٤ ، طبقات الداودى ٢٠٢/٢ .

كتب الطبقات الأندلسية

ونعود لتتبع كتب التفسير الأندلسية الأصلية بعد تفسير بقى مخلد الذى يعد ظاهرة فريدة فى القرن الثالث الهجرى ، وشاهداً على نضج مبكر غير متوقع للثقافة القرآنية فى تلك البلاد . وقد رأينا كيف واصل طلبة العلم الأندلسيون خلال القرن الرابع الاهتمام بكتب التفسير المشرقية واستيعاب مادتها والعكوف على روايتها أو اختصارها أو التعليق عليها ، هذا مع انتقاء ما يتفق منها مع تشددهم السنى وتجنبهم كل ما يشتبه فيه تضمن آراء أهل الأهواء والبدع . وتورد كتب الطبقات الأندلسية تراجم لعلماء كثيرين قراء وفقهاء ومحدثين كان لهم مشاركة فى التفسير ، غير أننا لن نلقى بالاً إلا لمن أثرت عنهم مؤلفات فى هذا الميدان .

أما فى القرن الرابع فأول من نعرفهم من مفسرى النصف الأول منه هو عبد الله بن مطرف المعروف بابن آمنة الذى رحل إلى المشرق سنة ٣١١ ، وألف كتاباً فى التفسير رآه ابن الفرضى وذكر أنه " حذف منه الأسانيد " ، وهذا يدل على أنه تفسير بالمأثور . ولا نعرف عن هذا المؤلف إلا ثناء ابن حزم على كتاب آخر له فى أحكام القرآن(١) .

(١) ترجمته فى ابن الفرضى رقم ٦٩٣ ، ورسالة ابن حزم فى فضل الأندلس فى نفح الطيب ٣/١٦٩ .

وفى النصف الثانى من هذا القرن تبرز شخصية محمد ابن عبد الله بن عيسى المعروف بابن أبى زمنين (ت٣٩٩) ، وهو صاحب مختصر تفسير يحيى بن سلام الذى سلفت الإشارة إليه . وهو من شيوخ المقرئ المشهور أبى عمرو الدانى ، وقد ألف تفسيراً أثنى عليه من ترجموا له [(١)].

وممن ألفوا تفاسير خلال القرن الخامس أبو عمر أحمد بن محمد الطلمنكى (ت ٤٢٩) [(٢)]. وكان قد رحل إلى المشرق ، فأخذ بمصر عن ابن غلبون شيخ المقرئين والمفسر أبى الإدفوى وغيرهما ، ويقول عنه ابن بشكوال إنه " أحد الأئمة فى علم القرآن قراءته وإعرابه وأحكامه وناسخه ومنسوخه ومعانيه ، وجمع كتباً حساناً .. على مذاهب أهل السنة " . ومنها كتاب فى التفسير .

ومن معاصرى الطلمنكى على بن سليمان الزهراوى (ت٤٣١) إمام جامع غرناطة وله كتاب كبير فى التفسير [(٣)].

---

(١) أوردنا مصادر ترجمته فى الحاشية رقم ٨٥ .

(٢) ترجمته فى الصلة رقم ٩٢ ، الديباج ص ٣٩ ، تذكرة الحفاظ ١٠٩٨/٣ ، طبقات الداودى ٧٧/١ ، وطلمنكة Talamanca التى ينسب إليها هى اليوم قرية صغيرة على مقربة من مجريط (مدريد) .

(٣) ترجمته فى الصلة رقم ٨٨٤ وطبقات الداودى ٤٠٤/١ .

ومنهم القارئ المعروف مكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧) الذى سبق أن عرضنا جهوده الكثيرة فى ميدان القراءات . ومن مؤلفاته فى التفسير " الهداية إلى بلوغ النهاية " الذى كان أصله يقع فى ٧١ مجلداً . ومنه سفران مخطوطان كبيران فى الخزانة العامة بالرباط [١] . وهو تفسير يبدو مما بقى منه أنه نقلى يعتمد على المأثور ، وإن كان قد عمد فيه إلى حذف الأسانيد تخفيفاً على القارئ .

وللكاتب الشاعر أبى حفص أحمد بن محمد بن برد المعروف بابن برد الأصغر (ت بعد ٤٤٠) كتب عديدة فى القرآن منها "التحصيل فى تفسير القرآن" و "التفصيل" الذى يبدو أنه شرح له [٢] .

ومنهم الفقيه الكبير أبو الوليد سليمان بن خلف الباجى (ت ٤٧٤) الذى شرع فى تأليف كتاب كبير فى التفسير لم يُتَح له إكماله [٣] .

---

(١) قام الباحث المغربى عبد السلام الكنونى بوصف وعرض جيد للسفرين الأول والثالث من الكتاب ، وهما ما بقى منه اعتماداً على ما جاء فى مقدمة الكتاب . انظر المدرسة القرآنية فى المغرب ص ٢٠٧ - ٢١٢ .

(٢) ترجمته فى جذوة المقتبس رقم ١٩٢ ، والذخيرة لابن بسام ، القسم الأول ٤٨٦/١ ، المغرب لابن سعيد ٨٦/١ ، طبقات الداودى ٦٧/١ .

(٣) ترجمة أبى الوليد الباجى فى الصلة رقم ٤٥٢ ، تذكرة الحفاظ ١١٧٨/٣ ، الديباج ص ١٢٠ ، طبقات الداودى ٢٠٢/١ .

ومن أقرانه محمد بن على بن عبيد المعافرى الإشبيلى المعروف بابن الجوزى (ت ٤٨٣) ، وهو خال القاضى عياض ، وله أيضاً تفسير توفى قبل إتمامه (١).

ويخطو علم التفسير خلال القرن السادس خطوات واسعة نحو النضج ، فنلتقى بعدة شخصيات كان لها فيه جهود أصبحت من المعالم البارزة . من أولهم على بن عبد الله بن موهب الجذامى من أهل المرية (ت ٥٣٢) ، وهو من تلاميذ الباجى وأبى عمر بن عبد البر . ويذكر ابن بشكوال - وهو من تلاميذ ه - أنه ألف فى التفسير كتاباً حسناً مفيداً (٢).

وأشهر من اشتغلوا بهذا العلم إمامان خلفا لنا فيه تراثاً عظيماً بقى مرجعاً لايستغنى عنه اليوم . أولهما الفقيه الحافظ الأصولى أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربى الإشبيلى (ت٥٤٣) الذى يسميه تلميذه ابن بشكوال " العالم المستبحر ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها " . وقد سبق أن أشرنا إلى رحلته إلى المشرق وأخذه عن أبى بكر الطرطوشى مختصره لتفسير الثعلبى ، وكان بعد عودته إلى الأندلس سنة ٤٩٣ ، قد قدم " بعلم كثير لم يدخله أحد قبله ممن

---

(١) ترجمته فى الصلة ص ٥٧٣ ، طبقات الداودى ٢/ ٢١٣ .

(٢) ترجمته فى الصلة رقم ٩١٦ ، بغية الملتمس للضبى رقم ١٢٢٢ ، شذرات الذهب ٤/ ٩٩ ، طبقات الداودى ١/ ٤٠٩ .

كانت له رحلة إلى المشرق . واستقضى أبو بكر فى بلده إشبيلية ، ثم صرف عن القضاء وانقطع للتدريس والتأليف حتى وفاته فى فاس [1] . ولابن العربى فى التفسير كتاب " قانون التأويل " ، وهو أشبه بمدخل للتفسير ، إذ تناول فيه مباحث تمهيدية عامة ، وهو ينص على أن غايته من تأليفه هى " أن يرشد المبتدئ إلى المطلوب ، ويذكر المنتهى بما أرتج عليه من الأبواب [2].

ولابن العربى تفسير كبير مطول بعنوان " أنوار الفجر " كان يقع - فيما يذكر - فى ثمانين ألف ورقة . ولعله أضخم تفسير للقرآن عرف حتى اليوم فى العالم الإسلامى وينقل ابن فرحون عن أحد علماء المغرب أنه رأى هذا التفسير فى ثمانين مجلداً فى خزانة أمير المسلمين فى المغرب أبى عنان

---

(١) مصادر ترجمة ابن العربى كثيرة نذكر منها الصلة رقم ١٢٩٧ ، وفيات الأعيان ٤٢٣/٣ ، الديباج ص ٢٨١ ، تذكرة الحفاظ ١٢٩٤/٤ ، نفح الطيب ٢٥/٢ ، طبقات الداودى ١٦٢/٢ .

(٢) من " قانون التأويل " قطع مخطوطة فى دار الكتب المصرية وفى خزانة القرويين بفاس . انظر فهرس المخطوطات المصورة فى معهد إحياء المخطوطات المصورة ٣٦/١ ، ودراسة عبد السلام الكنونى ص ٢٤٩ - ٢٥٣ .

فارس المرينى سنة ٧٦٠ [(١)]. ويعد هذا الكتاب أعظم كتب ابن العربى ، وكان كثيراً ما يفخر به ويحيل عليه فى كثير من كتبه الأخرى[(٢)]. ومن المؤسف أنه لم يصل إلينا شيء من هذا المؤلف الجليل .

وأما المفسر الآخر المعاصر لابن العربى فهو أبو محمد عبد الحق بن غالب .. بن عطية الغرناطى (ت ٥٤١) [(٣)] قاضى المرية ،

---

(١) يخالجنا الشك فى صحة هذا الرقم لضخامته البالغة ، لا سيما وأن لابن العربى كتباً أخرى كبيرة الحجم . ولا يقارب ابن العربى فى غزارة التأليف - إن صح ذلك الخبر - إلا ابن جرير الطبرى الذى يذكر ابن الخطيب البغدادى عنه أنه مكث أربعين سنة يكتب كل يوم أربعينْ ورقة (ترجمة الطبرى فى وفيات الأعيان ١٩٢/٤ ، حاشية ١) ، ويذكر أيضاً عن ابن حزم الظاهرى أن تواليفه التى اجتمعت بخطه لولده بلغت أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة (ترجمته فى وفيات الأعيان ٣٢٦/٣) ، وهو الرقم الذى يعادل ما ينسب لابن العربى فى كتاب واحد .

(٢) انظر دراسة عمار طالبى : آراء أبى بكر بن العربى الكلامية ، الجزائر ١٩٨١ - ٦٧/١ .

(٣) ترجمة ابن عطية فى بغية الملتمس رقم ١١٠٣ ، الصلة رقم ٨٢٨ ، معجم أصحاب أبى على الصدفى ، رقم ٢٤٠ ، الديباج ص ٢٥٩ ، طبقات الداودى ٢٦٠/١ .

وكتابه الذى ظفر بثناء كل من كتبوا عنه هو " الجامع فى المحرر الوجيز فى تفسير القرآن العزيز " الذى وصل إلينا كاملاً فى مخطوطات كثيرة ، ومنه نسخة كاملة فى خزانة تطوان بالمغرب ، وأجزاء عديدة فى خزائن استامبول ودار الكتب المصرية والأزهر (١) . وقد نشر كاملاً فى المغرب مؤخراً . وكانت مقدمة هذا التفسير قد نشرت من قبل مع مقدمة لتفسير آخر مجهول فى القاهرة فى سنة ١٩٥٤ بعناية المستشرق آرثر جيفرى ، ثم أعيد طبع المقدمتين فى ١٩٧٢ .

وتفسير ابن عطية ينتمى إلى التفسير السلفى بالمأثور بعيداً عن تأويلات أهل الباطن فالمؤلف يقول فى مقدمته موضحاً منهجه : " وأثبتُّ أقوال العلماء فى المعانى منسوبة إليهم على ما تلقى السلف الصالح رضوان الله عليهم كتاب الله تعالى من مقاصده العربية السليمة من إلحاد أهل القول بالرموز واللغز وأهل القول بعلم الباطن وغيرهم (٢) .

وهو لا يشير من التفاسير السابقة إلا إلى تفسير أحمد بن عمار المهدوى (ت ٤٣٢) " التحصيل إلى بلوغ التفصيل " ، غير أنه مع ثنائه عليه لا يخليه من النقد ، إذ يقول عنه " ورأيت أن تصنيف التفسير كما صنع المهدوى رحمه الله مُفَرِّق للنظر ،

---

(١) انظر فهرس المخطوطات المصورة ص ٤٣ -٤٤ والمدرسة القرآنية فى المغرب ص ٢٤٢ .

(٢) مقدمتان فى علم القرآن ص ٢٥٤ .

مُشتِّت للفكر "، ولعله يعنى ما كان أغلب على المهدوى من العناية بالقراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ . ثم ينتقل إلى مباحث يراها تمهيداً لابد منه لمتابعة التفسير ، وهى ما ورد عن النبى ﷺ والصحابة والعلماء فى فضل القرآن وفضل تفسيره ، ومراتب المفسرين ، وبيان الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ، وما قيل حول ما فى القرآن من ألفاظ بلغة العجم ، وإعجاز القرآن . ويستوقف نظرنا الفصل الذى ساقه ابن عطية حول مراتب المفسرين . وفيه يستعرض فى إيجاز طبقات المفسرين بدءاً بالصحابة والتابعين ثم المفسرين بالمأثور ، ويخص بالثناء ابن جرير الطبرى ، ثم من " المتأخرين " أبا إسحاق الزجاج وأبا على الفارسى . أما أبو بكر النقاش وأبو جعفر النحاس فإنه يقول عنهما إنه " كثيراً ما استدرك الناس عليهما " . ثم يثنى على تفسيرى أبى العباس المهدوى ومكى ابن أبى طالب"[1].

وقد اعتمد على تفسير ابن عطية المفسر المشهور محمد بن أحمد .. بن فرح الأنصارى القرطبى نزيل منية ابن الخطيب (المنيا) بمصر (ت ٦٧١) صاحب "الجامع لأحكام القرآن " [2].

---

(١) مقدمتان ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

(٢) فى ترجمة ابن فرح القرطبى صاحب كتاب " الجامع " انظر الوافى بالوفيات للصفدى ١٢٢/٢، الديباج ص ٣١٧، نفح الطيب ١١٠/٢، طبقات الداودى ٦٥/٢ .

فقد استصفى فى تفسيره معظم مادة كتاب ابن عطية ، كما فعل بالنسبة لأهم التفاسير السابقة ، ومنها كتب أبى بكر ابن العربى الإشبيلى . وفى هذا شاهد على أن الأندلسيين حتى فى مهاجرهم المشرقية ظلوا معتدين بتراثهم العلمى محافظين عليه حريصين على إذاعته ونشره فى أرجاء عالم الإسلام .

*****

الفصل الثالث

علوم قرآنية أخرى

تلحق بالقراءات والتفسير ألوان من الموضوعات المتصلة بالقرآن الكريم نذكر منها ما يلى : -

فضائل القرآن

- أولها موضوع " فضائل القرآن " . ومن أول من كتب فيه فى المشرق القارئ اللغوى أبو عبيد القاسم بن سلام الكوفى (ت٢٢٤) . وكانت كتب أبى عبيد قد أثارت اهتمام طلبة العلم الأندلسيين منذ منتصف القرن الثالث ، فابن الفرضى يذكر أن أول من أدخل كتبه الأندلس هو الفقيه المشاور وهب بن نافع الأسدى القرطبى (ت ٢٧٣) ، وكان قد أخذها عن اثنين من تلاميذ أبى عبيد [١]. ثم قدم بهذه الكتب أيضاً محمد ابن عبد السلام الخشنى (ت ٢٨٦) الذى رحل قبل سنة ٢٤٠ ، فدخل بغداد ، وكتب بها كتب أبى عبيد عن اثنين أيضاً من أصحاب الشيخ [٢]. وعلى الرغم من مكانة الخشنى فإن الفضل

(١) ابن الفرضى ، رقم ١٥١٣ .

(٢) ابن الفرضى ، رقم ١١٣٢ .

الأكبر فى نشر كتب أبى عبيد يرجع إلى أحد تلاميذه وهو طاهر ابن عبد العزيز الرعينى القرطبى الذى رحل إلى المشرق ، فسمع بمكة من على بن عبد العزيز كاتب أبى عبيد ، ويقول ابن الفرضى إن الناس سمعوا منه كتب أبى عبيد " والخشنى باق " ، ولعل هذا يدل على أن روايته كانت أصح من رواية أستاذه . وكانت وفاة طاهر فى سنة ٣٠٥ [(١)] . وعن على ابن عبد العزيز أخذ هذه الكتب أحمد بن خالد بن يزيد المعروف بابن الحباب (ت ٣٢٢) [(٢)] .

أما كتاب " فضائل القرآن " فقد كان أحمد بن خالد المذكور من رواته ، كما سمعه أيضاً من علي بن عبد العزيز سعيد ابن مروان الحضرمى التطيلى (ت ٣٣٥) [(٣)] وعنه رواه حكم ابن إبراهيم المرادى السرقسطى (المتوفى فى أواخر القرن الرابع) [(٤)] . وإلى هذين الشيخين يرجع نشر الكتاب فى الثغر الأعلى الأندلسى .

وقد ظل اهتمام الأندلسيين بهذا الكتاب حتى القرن السادس ، فابن خير الإشبيلى يسجل روايتين له تنتهيان إلى على بن عبد العزيز ، إحداهما تلك التى أخذها أحمد بن خالد ،

---

(١) ابن الفرضى ، رقم ٦١٧ .
(٢) ابن الفرضى ، رقم ٩٤.
(٣) ابن الفرضى ، رقم ٤٩٥ .
(٤) ابن الفرضى ، رقم ٣٧٢.

وعنه سمعها أبو عثمان سعيد بن أحمد بن عبد ربه (ت ٣٥٦) وهو ابن أخى ابن عبد ربه صاحب " العقد الفريد " [١].

ومن الكتب التى تحمل نفس العنوان كتاب أبى ذر بن أحمد الهروى شيخ الحرم والمجاور بمكة (ت ٤٣٤) ، وقد سمعه عن مؤلفه أبوالعباس أحمد بن عمر العذرى (ت ٤٧٨) وأدخله الأندلس ، وانتهت روايته إلىٰ ابن خير الإشبيلى عن طريق اثنين من تلاميذه [٢].

ولم يقنع الأندلسيون برواية ما عرفوه من كتب المشارقة فى هذا الموضوع ، إذ سرعان ما شاركوا فيه بالتأليف الأصيل ، وكان أول من كتبوا فيه عبد الملك بن حبيب الإلبيرى (ت ٢٣٨) ، إذ يذكر ابن فرحون والداودى من مؤلفاته كتاباً بعنوان " رغائب القرآن " [٣].

---

(١) فهرسة ابن خير ص ٦٩ ، ترجمة سعيد بن عبد ربه فى ابن الفرضى ، رقم٥٠٥.

(٢) فهرسة ابن خير ص ٧٠ .وترجمة أبى ذر الهروى فى شذرات الذهب ٢٥٤/٣ ، وطبقات الداودى ٣٦٦/١ . وأما أبو العباس العذرى من أهل المرية فهو المحدث الجغرافى المعروف . وكان قد رحل مع أبويه فجاور بمكة بين سنتى ٤٠٨ و ٤١٦ ، وبها صحب أبا ذر الهروى ولازمه مدة طويلة . ترجمته فى الصلة رقم ١٤١ .

(٣) الديباج ص ١٥٥ ،وطبقات الداودى ٣٤٨/١.

ويلى ابن حبيب الفقيه يحيى بن إبراهيم بن مزين (ت ٢٥٩) شارح موطأ مالك ، وله كتاب بعنوان " فضائل القرآن " كان له انتشار كبير بشهادة ابن خير[١].

وخلال القرن الرابع نجد كتاباً بنفس العنوان لعباس بن أصبغ الهمدانى الحجارى (ت ٣٨٦) نص ابن الفرضى على أخذه عنه وروايته لكتابه ، كما رواه عنه أيضا حكم بن محمد بن حكم الجذامى (ت ٤٤٧) وعن طريقه اتصلت رواية الكتاب إلى ابن خير [٢].

ومن الكتب التى يبدو أنها تتناول هذا الموضوع كتاب " لمحات الأنوار ونفحات الأزهار فى ثواب القرآن " لمحمد ابن عبد الواحد الملاحى الغرناطى (ت ٦١٩) [٣].

***

---

(١) فهرسة ابن خير ص ٧١ ، وترجمة ابن مزين فى ابن الفرضى رقم ١٥٥٦ .

(٢) فهرسه ابن خير ص ٧١ ، وترجمة عباس بن اصبغ فى ابن الفرضى رقم ٨٨٣ ، وترجمة حكم الجذامى فى الصلة رقم ٣٣٧ .

(٣) الذيل والتكملة ، السفر السادس رقم ١١١٢.

أحكام القرآن الكريم

والموضوع الثانى هو الذى يتناول " أحكام القرآن " ، أى ما يستنبط من الأحكام الفقهية من كتاب الله وكان النموذج المحتذى فى هذا الفرع من الدراسات هو كتاب القاضى إسماعيل بن إسحاق الذى يحمل العنوان المذكور ، وهو كتاب يصفه ابن فرحون بأنه " لم يسبق إلى مثله " [1]. وكان أول من أدخله الأندلس الفقيه المحدث أحمد بن دحيم بن خليل قاضى طليطلة (ت ٣٣٨) [2]. الذى رواه عن إبراهيم بن حماد ابن أخى القاضى إسماعيل مؤلفه . وعن دحيم أخذ الكتاب علمان من أعلام الفقهاء : قاضى الجماعة محمد بن إسحاق بن السليم (ت ٣٦٧) وعبيد الله بن الوليد المُعَيْطى (٣٧٨) [3]. وروى هذا

(١) إسماعيل بن إسحاق (ت ٢٨٢) من بيت بنى حماد بن زيد الذين نشروا المذهب المالكى فى العراق ، ولى قضاء القضاة فى بغداد ، وله كتب فى الرد على أبى حنيفة والشافعى . انظر فى ترجمته تاريخ بغداد ٢٨٤/٦ ، المرقبة العليا للنباهى ص ٣٣ ، الديباج ٩٢ ، طبقات الداودى ١٠٥/١ .

(٢) ترجمته فى ابن الفرضى ، رقم ١١٠ .

(٣) ترجمتهما فى ابن الفرضى ، برقمى ١٣١٧ و ٧٦٧ على التوالى .

الكتاب بالمشرق كذلك عمر بن محمد بن الرُّنّا البجانى (ت ٣٨٠) [١] . وكان يقرئه إبراهيم بن سعيد بن وردون النميرى من أهل المرية (ت ٤٧٠) . وبلغ من ذيوع الكتاب فى الأندلس أن عالماً بغدادياً قدم إلى الأندلس هو المبارك بن سعيد فسمعه بالمريه من ابن وردون ، وعاد بعد ذلك إلى بغداد فتوفى بها بعد سنه ٤٩٠ [٢] . وممن روى الكتاب بالمشرق محمد بن أحمد .. ابن شريعة اللخمى الباجى (ت٤٣٣) الذى توارث أفراد أسرته رواية الكتاب من عدة طرق انتهت إلى ابن خير الإشبيلى الذى أخذه عن حفيده عبد الملك بن عبد العزيز اللخمى (ت ٥٣٢) [٣] . هذا بالإضافة إلى الرواية القديمة لأحمد بن دحيم عن طريقين مختلفين [٤] .

وقد قام الفقيه المصرى بكر بن العلاء القشيرى (ت ٣٤٤)

---

(١) ترجمته فى الصلة رقم ٨٤٥ .

(٢) ترجمة ابن وردون فى الصلة رقم ٢١٧ وترجمة المبارك بن سعيد فى الصلة أيضاً رقم ١٣٩١ .

(٣) ترجمة محمد بن أحمد .. بن شريعة فى الصلة رقم ١١٤٤ ، وترجمة حفيده عبد الملك فى الصلة أيضاً رقم ٧٧٦ .

(٤) فهرسة ابن خير ٥١ .

باختصار لكتاب القاضى إسماعيل [1]. وقدر لهذا المختصر أيضاً قبول كبير بين الأندلسيين ، فقد رواه بمصر عن مؤلفه أبو جعفر أحمد بن عون الله القرطبى (ت ٣٧٨) ، كما رواه محمد بن إبراهيم الخشنى الطليطلى (ت ٤٠٠) وأقرأه ببلده ، وأيوب بن حسين الحجازى (ت ٣٨٢) ، وكان قد رحل إلى المشرق سنة ٣٤٠ وروى الكتاب عن مؤلفه ، وعاد فاستقضاه الحكم المستنصر على بلده وادى الحجارة ، وكان ابن الفرضى ممن أكثروا السماع منه [2]. وكانت رواية ابن خير للكتاب متصلة بالفقيهين اللذين سمعاه عن مؤلفه : ابن عون الله وأيوب الحجارى [3].

ولأبى بكر محمد بن أحمد بن بكير التميمى البغدادى (ت ٣٠٥) كتاب بعنوان" أحكام القرآن " ، وهو من تلاميذ القاضى إسماعيل ، تفقه به وكان من كبار أصحابه وروى هذا الكتاب عبد الله بن محمد بن قاسم الثغرى من قلعة أيوب

---

(١) بكر القشيرى فقيه ومحدث مالكى المذهب ، أصله من البصرة ، وكان من أصحاب القاضى إسماعيل ، استقر فى مصر وبها توفى . ترجمته فى الديباج ص ١٠٠ وطبقات الداودى ١١٨/١ .

(٢) ترجمة أحمد بن عون الله فى ابن الفرضى ١٨١ ، وترجمة أيوب بن حسين فيه أيضاً رقم ٢٧٣ ، وأما محمد بن إبراهيم الخشنى ففى الصلة ،رقم ١٠٥٢ .

(٣) فهرسة ص ٥٢ .

وقاضيها (ت ٣٨٣) ، إذ سمعه على إبراهيم بن سعيد البصرى عن مؤلفه [١]. وهذه الرواية هى التى وصلت إلى ابن خير إلى جوار رواية أخرى .

وسارع الأندلسيون كعادتهم إلى خوض ميدان التأليف فى هذا الموضوع . وكان السابق إلى ذلك مؤلف موسوعى المعرفة امتدت حياته على مدى نحو قرن كامل ما بين منتصف القرن الثالث إلى منتصف الرابع ، هو قاسم بن أصبغ البيأنى . وكان قد رحل إلى المشرق ، فأخذ عن أكابر الشيوخ فى القيروان ومصر والشام ومكة وبغداد ، ومنهم القاضى إسماعيل بن حماد وعلى بن عبد العزيز كاتب ابن قتيبة ، هذا إلى عدد كبير من علماء الحديث والفقه واللغة والأدب ، وعاد إلى الأندلس ، فكانت الرحلة إليه من كل أنحاء البلاد ، وكان ممن سمع منه أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر وابنه ولى عهده العالم الحكم . وظل مشتغلاً بالتدريس والتأليف حتى وفاته سنة ٣٤٠ [٢]. وكان من مؤلفاته كتاب " أحكام القرآن " الذى أغدق الثناء عليه معاصروه ثم الأجيال التالية من العلماء [٣].

---

(١) ترجمة ابن بكير البغدادى فى الديباج ص ٢٤٣ ، وترجمة ابن قاسم الثغرى فى ابن الفرضى رقم ٧٥١ .

(٢) فهرسة ص ٥٣ .

(٣) ترجمة قاسم بن أصبغ فى ابن الفرضى رقم ١٠٦٨ ، جذوة المقتبس رقم ٧٦٩ ، تذكرة الحفاظ ٨٥٣/٣ ، الديباج ص ٢٢٢ ، معجم الأدباء ٢٣٦/١٦ ، لسان الميزان ٤٥٨/٤ ، نفح الطيب ٤٧/٢ ، طبقات الداودى ٣٠/٢ .

ومنهم أيضاً قاضي الجماعة بقرطبة الفقيه الظاهري[1]. منذر بن سعيد البلوطي (ت ٣٥٥) الذى ألف كتاباً بالعنوان نفسه [2].

وقد كانت هذه الكتب الثلاثة موضع ثناء وفخر من جانب ابن حزم في رسالته في فضل الأندلس [3]. وربما كان من أسباب تنويه ابن حزم بها أنها كانت تعضد مذهبه الظاهري الذى كان ينادي بالاقتصار في استنباط الأحكام على القرآن والسنة ورفض القياس الذى أخذت به المذاهب الفقهية الأخرى بصفته من الأصول المعتمدة .

على أن الكتاب الذى ظل يتدارس حتى القرن السادس الهجري من بين هذه الكتب الأندلسية كان كتاب القاضي منذر ابن سعيد بشهادة ابن خير [4].

وخلال النصف الثاني من القرن الرابع نرى مؤلفاً آخر يكتب في الموضوع نفسه ، وهو أحمد بن على الربعي الباغاني

---

(١) ترجمته في ابن الفرضي رقم ٣٩٦ .

(٢) ترجمته في ابن الفرضي ، رقم ١٤٥٢ ، جذوة المقتبس رقم ٨١١ ، معجم الأدباء ١٧٤/١٩ ،طبقات الداودي ٣٣٦/٢.

(٣) حسبما نقل المقرى في النفح ١٦٩/٣ .

(٤) في فهرسته ص ٥٤ .

(نسبة إلى باغاية ، مدينة فى أقصى إفريقية فى المغرب الأوسط بين بجاية وقسنطينة) قدم الأندلس سنة ٣٧٦ على المنصور بن أبى عامر ، فاستأدبه لولده عبد الرحمن ، ثم رقاه الخليفة هشام المؤيد إلى خطة الشورى ، واستقر فى قرطبة حتى وفاته سنة ٤٠١ . وكان قد رحل إلى مصر فأخذ عن شيخ قرائها أبى الطيب ابن غلبون وعن المفسر أبى بكر الإدفوى . ويصفه بن بشكوال بأنه " كان بحراً من بحور العلم لا نظير له فى علم القرآن " ويقول إن له كتاباً حسناً فى أحكام القرآن نحا فيه نحواً حسناً على مذهب الإمام مالك (١).

ويتمثل نضج الكتاب فى موضوع أحكام القرآن لدى مؤلفين كان لهما باع طويل فى التفسير وعلوم القرآن المختلفة أولهما القاضى أبو بكر ابن العربى (ت ٥٤٣) ، وهو من أجل كتبه ، استقصى فيه آيات الأحكام الشرعية شرحاً وتفسيراً ودرساً ، وقد وصل إلينا هذا الكتاب كاملاً وطبع مرتين فى القاهرة (٢). ونص ابن خير على روايته له عن مؤلفه (٣). وعلى هذا الكتاب

---

(١) ترجمته فى الصلة رقم ١٨٥ ، معجم البلدان لياقوت ٣٢٥/١ ، الديباج ص ٣٨ ، طبقات الداودى ٥٢/١.

(٢) طبع لأول مرة سنة ١٣٣١ هـ . فى مجلدين ، ثم أعيد طبعه سنة ١٣٧٨ هـ فى أربعة مجلدات بتحقيق على محمد البجاوى .

(٣) فهرسة ص ٥٤ .

اعتمد أبو بكر محمد بن أحمد .. بن فرح القرطبى فى تفسيره الكبير " الجامع لأحكام القرآن " فأكثر من النقل عنه .

والثانى هو عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم المعروف بابن الفرس الغرناطى ، من بيت فقه وعلم ، ولد سنة ٥٢٥ وأخذ عن جده وأبيه ، وأجاز له بعض أعيان العلماء ومنهم أبو بكر بن العربى ، وبرع فى الفقه والحديث وعلوم القرآن ، وأما كتابه " أحكام القرآن " فيقول عنه تلميذه أبو الربيع الكلاعى البلنسى : " كتاب حسن مفيد ، جمعه رحمه الله فى ريعان الشبيبتين من طلبه وسنه ، فللنشاط اللازم عن ذلك أثر فى حسن ترتيبه وتهذيبه .. وأخبرنى أنه فرغ من تأليفه بمرسية سنة ٥٥٣ . وتوفى ابن الفرس سنة ٥٩٩ . وقد وصل إلينا جزء كبير من هذا الكتاب مخطوطاً فى الخزانة الملكية بالرباط [1].

***

(١) ترجمة ابن الفرس فى التكملة رقم ١٨١٤ ، صلة الصلة لابن الزبير ، القسم الثانى ، رقم ٢٨ ، الإحاطة فى أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ، نشر محمد عبد الله عنان ، القاهرة ١٩٧٥ - ٥٤١/٣ ، الديباج ص٢١٨ ، بغية الوعاة ١٦/٢ ، طبقات الداودى ٣٥٦/١ . وانظر المدرسة القرآنية فى المغرب لعبد السلام الكنونى ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .

الناسخ والمنسوخ

الموضوع الثالث من الموضوعات القرآنية هو " الناسخ والمنسوخ " . ومن أول الكتب التى دخلت الأندلس فى هذا الفرع كتاب أبى عبيد القاسم بن سلام الذى كان أول من قدم به من المشرق محمد بن عبد السلام الخشنى (ت ٢٨٦) وكان قد رواه عن محمد بن موهب تلميذ أبى عبيد ، ثم قدم برواية أخرى الحسن بن سعد الكتامى (ت ٣٣٢) أخذها عن على بن عبد العزيز كاتب أبى عبيد [١] . وتزايد اهتمام الأندلسيين بالكتاب حتى بلغت روايته كما وصلت إلى ابن خير الإشبيلى ثمانياً منها أربع أندلسية وأربع مشرقية [٢] .

وكان من أبرز من كتبوا فى هذا الموضوع فى المشرق أبو جعفر بن النحاس (ت ٣٣٨) . وعلى الرغم من تلمذة عدد غير قليل من الأندلسيين عليه فإن كتابه فى الناسخ والمنسوخ لم يعرف فى الأندلس إلا فى وقت متأخر فى أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس . وكان أول من أدخله مكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧) ، إذ رواه عن المفسر أبى بكر الإدفوى تلميذ النحاس ، ونقله كذلك حكم بن محمد بن حكم الجذامى (ت ٤٤٧) عن أحد

(١) ترجمة الحسن بن سعد فى ابن الفرضى ، رقم ٣٢٩ .

(٢) فهرسة ص ٤٧ .

تلاميذ الإدفوى . وتعددت بعد ذلك رواياته التى وصلت ابن خير القرن السادس [1].

وممن عالجوا الموضوع نفسه فى المشرق - وإن كانت كتبهم لم تعرف فى الأندلس إلا بعد وقت طويل - أبو داود سليمان ابن الأشعث السجستانى [2](ت ٢٧٥) أحد مصنفى السنن ، فقد كان أول من أدخله إلى مصر رواية عن ابن سلامة شيخ مقرئى مصر أبو العباس بن نفيس ، وعنه رواه على بن خلف بن ذى النون القرطبى (ت ٤٩٨) ، السادس [3].

ويبدو أن من أسباب تأخر هذه الكتب فى الوصول إلى الأندلس أن الأجيال الأولى من فقهاء الأندلس لم يستوعبوا فكرة أن يكون فى القرآن الكريم ناسخ ومنسوخ . ومما يصور ذلك هذا النص الذى يورده المؤرخ ابن حيان نقلاً عن ابن الفرضى فى ترجمة محمد بن عبد السلام الخشنى :

---

(١) فهرسة ابن خير ص ٤٩ .

(٢) أبو داود السجستانى من أئمة الحديث ، أخذ عن ابن حنبل ويحى بن معين . انظر فى ترجمته وفيات الأعيان ١٣٨/٢ ، تذكرة ٥٩١/٢ ، طبقات الداودى ٢٠١/١ . وحول رواية كتابه فى الأندلس . انظر فهرسة ابن خير ص ٤٧ .

(٣) ترجمة ابن ذى النون القرطبى فى الصلة رقم ٩٠٨ . وفى روايات ابن خير للكتاب انظر فهرسته ص٤٦ .

لما أدخل أبو عبد الله الخشنى كتاب " الناسخ والمنسوخ " لأبى عبيد إلى الأندلس من روايته ولم يكن دخلها من قبل - أنكر عليه ذلك الفقهاء ، وكثروا عليه ، وأنهوا شأنه إلى محمد ابن حارث صاحب السوق ، فأرسل فيه وجئ به إليه ، فنهره وقال له : أنت تزعم أن فى الحديث ناسخاً ومنسوخاً ؟ فقال له : هو فى القرآن فضلاً عن الحديث . قال : وأين هو ؟ قال : فى قوله : ﴿ **اتقوا الله حق تقاته** ﴾[1]، نسخه قوله تعالى : ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم**﴾[2]. وهل كان أحد يقدر أن يتقى الله حق تقاته ؟ ومصداق ذلك قول الله تعالى: ﴿**ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها**﴾[3]، يريد بخير منها لكم فى نقلها من التثقيل إلى التخفيف . فلم يصغ إليه ولا فهم عنه ، وعجل عليه ، فأمر بسجنه [4].

---

(١) آل عمران : ١٠٢ .(٢) التغابن : ١٦ .

(٣) البقرة : ١٠٦ .

(٤) المقتبس من أبناء أهل الأندلس لأبى مروان ابن حيان القرطبى ، تحقيق محمود على مكى ، بيروت ١٩٧٣ ص ٢٥٤ ، ومحمد بن حارث المذكور فى النص فقيه روى عن يحيى وعبد الملك بن حبيب ورحل فحج وسمع بمكة ومصر ، ولكنه كان قليل الفقه ، ولاه الأمير عبد الرحمن بن الحكم أحكام الشرطة الصغرى . فلما توفى عبد الرحمن وولى ابنه محمد أقره على منصبه وولاه السوق فلم يزل على هذه الولاية حتى وفاته سنة ٢٦٠ . وكان أحد الثلاثة القائمين على بقى بن مخلد الساعين فى سفك دمه . انظر ترجمته فى تاريخ ابن الفرضى ، رقم ١١٠٥ .

وأول كتاب نعرفه لأندلسى فى موضوع الناسخ والمنسوخ فى القرآن الكريم هو الذى ألفه قاضى الجماعة بقرطبة عبد الرحمن بن محمد ... بن فطيس القرطبى ، كان من جهابذة الفقهاء المحدثين ، جمع من الكتب فى أنواع العلم ما لم يجمعه أحد ، وألف كتباً عديدة فى الحديث وعلوم القرآن ، منها "الناسخ والمنسوخ "فى ثلاثين جزءاً . وكانت وفاته سنة ٤٠٢ (١).

وشارك فى الكتابة أيضاً القارئ المفسر المعروف مكى ابن أبى طالب (٤٣٧) وكان لكتابه انتشار واسع تكفل به ثلاثة من تلاميذه الأعلام هم محمد بن شريح ، وعبد الملك بن سراج وأبو محمد بن عتاب ، وعن طريق هؤلاء وصلت رواية الكتاب إلى طلاب العلم خلال القرن السادس الهجرى (٢).

وخلال هذا القرن يؤلف أبو بكر ابن العربى (ت ٥٤٣) كتابه " ناسخ القرآن ومنسوخه " ، وقد أشار هو إلى هذا الكتاب فى العديد من كتبه الأخرى . وتوجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة ناقصة من أولها (٣).

---

(١) ترجمته فى الصلة رقم ٦٨٢ ، الديباج ص ١٥٠ ، تذكرة الحفاظ ١٠٦١/٣ ، شذرات الذهب ١٦٣/٣ ، طبقات الداودى ٢٨٥/١ .

(٢) فهرسة ابن خير ص ٥١ .

(٣) كان هذا الكتاب من مرويات ابن خير سمعه من مؤلفه . انظر فهرسته ص ٥١ . والنسخة الوحيدة المخطوطة منه توجد فى مكتبه عبد الحى الكتانى التى ضمت إلى الخزانة العامة للرباط على حد ما ذكر عمار طالبى فى دراسته " آراء أبى بكر ابن العربى الكلامية ٦٨/١ .

الدراسات اللغوية المتصلة بالقرآن

الموضوع الرابع من الموضوعات القرآنية هو ما يتصل بغريبه وإعرابه أى الدراسات اللغوية والنحوية المتصلة بالنص القرآنى .

ونبدأ بالحديث عما دخل الأندلس من الكتب المشرقية التى تنتمى إلى هذا الفرع من فروع الدراسات القرآنية :

شهد القرنان الثالث والرابع تدفق عدد من كتب كبار اللغويين والنحاة المشارقة إلى الأندلس ، وهى كتب تعالج معظمها شرحاً لغريب القرآن أو عرضاً لقضايا الإعراب فيه ومن أول هذه الكتب " مجاز القرآن " لأبى عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩) ، و " غريب القرآن " و " مشكل القرآن " لابن قتيبة (ت ٢٧٦) . وكان الفضل فى رواية هذه الكتب وإدخالها الأندلس يرجع إلى قاسم بن أصبغ البيانى (ت ٣٤٠) . أما كتاب أبى عبيدة فقد رواه عن أبى سعيد السكرى (ت ٢٧٥) ، وكان أبو سعيد قد سمعه بدوره عن أبى حاتم السجستانى (ت ٢٥٥) عن أبى عبيدة . وأما كتب ابن قتيبة فقد سمعها قاسم بن أصبغ مباشرة من مؤلفها . وقد عرفت لهذه الكتب روايات أخرى كان لها كذلك انتشار كبير فى الأندلس [1] .

---

(١) فى رواية كتاب أبى عبيدة انظر فهرسة ابن خير ٥٩ ، وفى رواية كتابى ابن قتيبة نفس المصدر ص٦٦ و ٦٧ .

وخلال القرن الرابع قام عبد الله بن محمد بن قاسم الثغرى من أهل قلعة أيوب (ت ٣٨٣) فى رحلة له إلى بغداد برواية كتاب " معانى القرآن وإعرابه " لإبراهيم بن السرى الزجَّاج (ت ٣١١) وذلك عن تلميذه عبيد الله بن خالد ابن الحسن [١].

ومع أن عدداً غير قليل من طلبة العلم الأندلسيين وفد على ابن جعفر النحاس (ت ٣٣٨) وأخذه عنه فإن كتابيه " معانى القرآن " و " إعراب القرآن " لم يدخلا الأندلس إلا فى أواخر القرن الرابع . أما كتاب معانى القرآن فقد أدخله مكى ابن أبى طالب (ت ٤٣٧) وأبو سعيد خلف ابن الجعفرى (ت ٤٢٩) ، كلاهما أخذه بمصر عن المفسر أبى بكر الإدفوى عن النحاس [٢]. وأما كتاب " إعراب القرآن " فقد رواه أبو سعيد ابن الجعفرى أيضاً عن الإدفوى ورواه عبد الله بن محمد ابن الوليد عن أبى الحسن على بن إبراهيم الحوفى عن أبى بكر

---

(١) فهرسة ابن خير ص ٦٤ . وقد مرت بنا ترجمة عبد الله الثغرى . وأما الزجاج فهو تلميذ محمد بن يزيد المبرد ، ترجمته فى تاريخ بغداد ٩١/٦ ، بغية الوعاة ٤١١/١.

(٢) فهرسة ابن خير ص ٦٥ . وترجمة أبى سعيد خلف ابن الجعفرى فى الصلة رقم ٣٧٧ .

الإدفوى عن النحاس [(١)] .

وهناك رواية أخرى لهذه الكتب قام بنقلها إلى الأندلس محمد بن مفرج بن عبد الله بن مفرج المعافرى القرطبى (ت ٣٧١) . ويذكر ابن الفرضى فى ترجمته أنه رحل إلى مصر فلقى أبا جعفر النحاس وأخذ عنه كتبه " وهو من أول من أدخلها إلى الأندلس رواية منها إعراب القرآن ومعانى القرآن والناسخ والمنسوخ " [(٢)] ومع ذلك فلم يكن لرواية ابن مفرج ذيوع الروايات السابقة .

وفى المشرق راجت كتب كثيرة فى غريب القرآن ، غير أن أكثر هذه الكتب حظوة فى الأندلس - بشهادة ابن خير - كانت بعد كتابى أبى عبيدة وابن قتيبة أربعة كتب :

- كتاب يحيى بن المبارك اليزيدى (ت ٢٠٢) وهو من أقدم كتب الغريب ، ولكنه لم يعرف فى الأندلس إلا منذ أدخله خلف بن قاسم الأزدى القرطبى (ت ٣٩٣) فى منتصف القرن الرابع ، وعن خلف أخذه الإمام المشهور أبو عمر يوسف بن عبد الله

---

(١) فهرسة ص ٦٥ . وأبو الحسن الحوفى هو على بن إبراهيم إمام العربية والنحو ، أخذ عن الإدفوى وتوفى سنة ٤٣٠ (ترجمته فى حسن المحاضرة ٥٣٢/١ ، بغية الوعاة ١٤٠/٢) . وأبو بكر محمد بن على الإدفوى تلميذ أبى جعفر النحاس كان بارعاً فى علوم القرآن وله كتاب فى تفسيره فى ١٢٠ مجلداً (ترجمته فى حسن المحاضرة ٤٩٠/١ ،شذرات الذهب ١٣٠/٣ ،طبقات الداودى ١٩٤/٢) .

(٢) تاريخ ابن الفرضى ، رقم ١٣٢١ .

ابن عبد البر (ت ٤٦٣) فكثرت روايته بفضله على امتداد القرنين الخامس والسادس [١].

- ياقوتة الصراط فى غريب القرآن لأبى عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد المطرز المعروف بغلام ثعلب (ت٣٤٥) وكان أول من أدخله الأندلس حكم بن محمد بن حكم الجذامى (٤٤٧) ولأبى بكر بن العربى رواية أخرى له انفرد بها خلال رحلته المشرقية . وبفضل هذه الروايات ظل هذا الكتاب يتدارس خلال القرنين الخامس والسادس [٢].

---

(١) يحيى بن المبارك اليزيدى بصرى سكن بغداد قرأ على الخليل بن أحمد وأبى عمرو بن العلاء، وكان مؤدباً للخليفة المأمون . ترجمته (فى بغية الوعاة ٢/ ٣٤٠) . وخلف بن قاسم الأزدى سمع بقرطبة ورحل إلى المشرق سنة ٣٤٥ فتردد هناك خمس عشرة سنة فأخذ عن عدد كبير من الشيوخ فى مختلف فروع العلم (ترجمته فى ابن الفرضى رقم ٤١٥) . وأبو عمر بن عبد البر هو المحدث الحافظ صاحب التواليف الكثيرة . (ترجمته فى الصلة رقم١٥٠١) .وفى رواية هذا الكتاب فهرسة ابن خير ص ٦٧ .

(٢) محمد بن عبد الواحد المطرز أحد أعلام اللغويين الحفاظ ، وأخذ عن ثعلب الشيبانى إمام نحاة الكوفة ،وله عدد كبير من التصانيف منها الياقيت وشرح فصيح ثعلب وفائت الفصيح وغريب مسند أحمد . (ترجمته فى بغية الوعاة ١/ ١٦٤) وفى رواية كتابه انظر فهرسة ابن خير ص ٦٠ (وقد ورد اسمه فى الأصل أحمد بن محمد بن عبد الواحد خطأ) .

- نزهة القلوب فى تفسير غريب القرآن ، لأبى بكر محمد بن عُزَيْز السجستانى(ت.٣٣٠) وكان دخوله إلى الأندلس بفضل اثنين من طلبة العلم : مكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧) ومحمد بن شريح الإشبيلى (ت ٤٧٦) ، ثم عرفت له روايات أخرى عديدة ، انتهت كلها إلى ابن خير [(١)].

- الغريبين : غريب القرآن وغريب الحديث ، لأبى عبيد أحمد بن محمد بن أبى عبيد الهروى (ت ٤٠١) ، وهو من آخر كتب الغريب دخولاً إلى الأندلس ، إذ كان القائمان بروايته وإذاعته أبو محمد بن عبد الرحمن بن عتاب (ت ٥٣١) وأبو بكر ابن العربى (٥٤٣) [(٢)].

- مشكل إعراب القرآن الكريم لأبى بكر محمد بن الحسن ابن فورك (ت ٤٠٦) وهو أيضاً من الكتب التى دخلت الأندلس بآخرة ، وكان الفضل فى التعريف به يرجع للقارئ المعروف أبى عمرو الدانى (ت٤٤٤) ، رواه عن عبد الملك بن الحسن الصقلى

---

(١) أبو بكر محمد بن عزيز ، كان تلميذاً لأبى بكر بن الأنبارى صنف كتابه فى غريب القرآن فى خمس عشرة سنة ورواه عنه ابن حسنون السامرّى شيخ المقرئين بمصر . (ترجمته فى بغية الوعاة ١٧١/١ وطبقات الداودى ١٩٣/٢) . وروايات كتابه فى فهرسة ابن خير ص ٦١ .

(٢) فهرسة ابن خير ص ٦٩ .

عن مؤلفه [(١)]. وقد أخذ هذا الكتاب عبد الله بن يحيى التجيبى الأقليشى المعروف بابن الوحشى بطليطلة عن أبى عبد الله المغامى المقرئ. وقد صنع له مختصراً. وولى ابن الوحشى أحكام بلده أقليس وبها توفى سنة ٥٠٢ هـ [(٢)].

***

---

(١) ابن فورك متكلم أصولى أديب نحوى. له نحو مائة مصنف منها كتاب معانى القرآن، وهو من فقهاء الشافعية. ترجمته فى وفيات الأعيان ٤٠٢/٣، وطبقات الداودى ١٢٩/٢. ورواية كتابه فى فهرسة ابن خير ص ٦٩.

(٢) ترجمته فى الصلة رقم ٦٣٩.

الفصل الرابع

كتب أندلسية فى لغويات القرآن

أما الكتب التى ألفها أندلسيون فى ميدان لغويات القرآن

فأولها كتاب عبد الملك بن حبيب " إعراب القرآن " [1]. وعلى الرغم من مكانة ابن حبيب بين معاصريه فإن كتبه اللغوية سواء منها هذا الكتاب أو كتابه الآخر فى " غريب الحديث " لم تلبث أن أصبحت موضع نقد عنيف من جانب الأجيال التالية ، إذ نجد وصفاً لابن حبيب بأنه انتحل كثيراً من كلام أبى عبيد ، ومع ذلك فقد تحامل عليه ، وكان كثيراً ما يقول " أخطأ شارح العراقيين " . ولهذا لم نعد نجد ذكراً لكتب ابن حبيب اللغوية فى المصادر المتأخرة .

وعلى الرغم من النشاط اللغوى الكبير الذى شهدته الأندلس خلال القرنين الثالث والرابع ، وهو ما نتبينه من خلال كتاب أبى بكر الزبيدى (ت٣٧٩) " طبقات اللغويين والنحويين " - فإننا لا نجد كتباً مفردة لهم تتناول لغة القرآن الكريم أو أساليبه النحوية إلا فى أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس . ولعل أول كتاب يهتم بغريب القرآن هو المختصر الذى صنعه الأمير ابن صمادح (ت ٤١٩) لتفسير الطبرى والذى سبق الحديث عنه ، وهو ينص على ذلك إذ يقول فى مقدمة كتابه

(١) نص على تأليف ابن حبيب لهذا الكتاب الديباج ص ١٥٥ ، وطبقات الداودى ١/ ١٢٩ .

" إنى قصدت بما جمعته فى هذا الكتاب من تفسير غريب القرآن وتأويله ، تفسير اللفظة غير الجارية على ألسنة الناس كافة ولا المتعارف بين أكثرهم "[1].

وأما الجهد الأصيل فى هذا الميدان فإنه يتمثل فى التراث الفنى الذى خلفه مكى بن أبى طالب الذى جمع بين العناية بالقرآن الكريم قراءاته وتفسيره وبين التعمق فى الدراسات اللغوية والنحوية . فمن كتبه التى انتهت روايتها إلى ابن خير الإشبيلى وتردد ذكرها بعد ذلك فى المصادر التالية اثنان يصوران مدى ما أحرزته هذه الدراسات من تقدم فى الأندلس :

- كتاب " غريب القرآن " وقد وصلت رواية هذا الكتاب إلى ابن خير عن طريقين : رواية أبى محمد عبد الرحمن بن عتاب عن مكى ، ورواية جعفر بن محمد بن مكى عن أبيه عن جده [2]. وقد وصل إلينا هذا الكتاب فى مخطوطة وحيدة فى دار الكتب الظاهرية بدمشق [3].

---

(١) مقدمة مختصر تفسير الطبرى ص ٢٩ .

(٢) فهرسة ابن خير ص ٦٧ ، وترجمة جعفر حفيد مكى بن أبى طالب (ت٥٣٥) فى الصلة رقم ٢٩٧ ، وقد نص ابن بشكوال على روايته عنه . وترجمة محمد بن مكى (ت ٤٧٤) فى الصلة أيضاً ، رقم ١٢١ .

(٣) ذكر ذلك حاتم صالح الضامن فى تقديمه لتحقيق مشكل إعراب القرآن ، ط . بغداد ١٩٧٥- ٢٤/١ ، ورقم المخطوطة فى الظاهرية هو ٨٩٩٣ . (فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية - علوم القرآن ص٢٤٨) . وعنوانها " تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم على الإيجاز والاختصار " .

- كتاب " مشكل إعراب القرآن ، وقد رواه عنه شيخا علماء قرطبة أبو مروان بن سراج وأبو محمد بن عتاب بالإضافة إلى ابنه محمد وعن محمد أخذه ابنه جعفر شيخ ابن خير [1]. وقد كان لهذا الكتاب قبول كبير وذيوع هائل يدل عليه كثرة نسخه المخطوطة المنتشرة فى عدد كبير من البلاد . وقد أحصى محقق الكتاب منها تسع عشرة مخطوطة ، واعتمد فى تحقيقه على عشر منها . واضطلع بهذا العمل الباحث العراقى حاتم صالح الضامن ، فنشر الكتاب فى مجلدين [2].

وقد بين المؤلف فى مقدمة كتابه مدى توقف فهم معانى آيات كتاب الله على معرفة إعراب ألفاظها . وفى ذلك يقول : " ورأيت من أعظم ما يجب على الطالب لعلوم القرآن الراغب فى تجويد ألفاظه وفهم معانيه ومعرفة قراءاته ولغاته ، وأفضل ما القارئ إليه محتاج - معرفة إعرابه والوقوف على تصرف حركاته وسواكنه ، ليكون بذلك سالماً من اللحن فيه ، مستعيناً على إحكام اللفظ به ، مطلعاً على المعانى التى قد تختلف باختلاف الحركات ، متفهماً لما أراد الله به من عباده " .

---

(١) فهرسة ص٦٨

(٢) من منشورات وزارة الإعلام فى الجمهورية العراقية ١٩٧٥ .

ثم يوضح اختلاف منهجه فى الكتاب عمن سبقه من المؤلفين فيقول :

" وقد رأيت أكثر من ألف الإعراب طوَّله بذكره لحروف الخفض وحروف الجزم وبما هو ظاهر من ذكر الفاعل والمفعول واسم إن وخبرها فى أشباه لذلك يستوى فى معرفتها العالم والمبتدئ ، وأغفل كثيراً مما يحتاج من المشكلات . فقصدت فى هذا الكتاب إلى تفسير مشكل الإعراب ، وبذكر علله وصعبه ونادره ، ليكون خفيف المحمل سهل المأخذ قريب المتناول " (١) .

فالكتاب ليس موجهاً للمبتدئين ، وإنما هو لمن تعلق بطرف من أصوله وعرف علله وعوامله . ولهذا فإنه لم يعمد فيه إلا لما أشكل إعرابه . ومن هنا كان عنوانه مطابقاً لمادته .

وأما مذهبه فى النحو فإنه كان متابعاً فى أكثر الأحوال لمذهب أهل البصرة ، وإن مال فى بعض المسائل لمذهب الكوفيين ، وقد بين محقق الكتاب أنه اعتمد إلى حد بعيد على أبى جعفر النحاس ، فنقل الكثير من آرائه .

ولقيمة هذا الكتاب عنيت به الأجيال التالية من المؤلفين عناية عظيمة ، وكان من أكثر علماء المشرق اهتماماً به خلال القرن السادس اثنان : ابن الشجرى (٥٤٢) وأبو البركات ابن الأنبارى (ت٥٧٧) (٢) . أما الأول فقد تعقب صاحب الكتاب فى

---

(١) مقدمة الكتاب ٦٣/١-٦٤ .

(٢) مقدمة المحقق ٣١/١ .

بعض مجالسه أماليه . يقول فى المجلس الثامن والسبعين : " ولمكى فى تأليفه مشكل إعراب القرآن زلّات سأذكر فيما بعد طرفاً منها [1] . ثم يفى بما وعد به من ذكر تلك الزلات فى المجلسين الثمانين والحادى والثمانين " [2] . ويعلل حاتم الضامن فى تقديمه للكتاب تحامل ابن الشجرى على مكى بما فى كتابه من هجوم على المعتزلة ووصمه لهم بالإلحاد [3] . وأما أبو البركات ابن الأنبارى فقد تابع مكيا فى اثنين من كتبه : البيان فى غريب إعراب القرآن ، والإنصاف فى مسائل الخلاف . وأورد محقق الكتاب أمثلة لهذه المتابعة ، حتى فى الأخطاء التى وقع فيها المؤلف الأندلسى [4] .

ومن الموضوعات التى كتب فيها عدد من المفسرين المشارقة الأمثال الواردة فى القرآن الكريم . ونعرف من هذه الكتب اثنين انتهت إلى ابن خير روايتهما وهما " الأمثال الكامنة فى القرآن للحسن بن عبد الرحمن بن إسحاق القضاعى ، رواه ابن خير عن عباد بن سرحان المعافرى الشاطبى الذى كان قد رحل إلى

---

(١) أمالى ابن الشجرى ، هبة الله بن على الحسنى العلوى ، تحقيق محمود محمد الطناحى ، القاهرة ١٩٩٢ - ٣/ ١٣ .

(٢) ٣/ ١٦٤ - ١٩٢ .

(٣) مقدمة المحقق ١/ ٣١ .

(٤) نفس المرجع ١/ ٣٢ - ٣٥ .

المشرق فسمع الكتاب من محمد بن طرخان البغدادى (١). والكتاب الثانى وهو بنفس عنوان سابقه لمؤلف لم نستطع الاهتداء إلى ترجمة له يدعى الحسن بن الفضل، وكان ابن خير قد سمعه من معاصره ابن بشكوال صاحب " الصلة " (٢). ولم نعرف لأحد الأندلسيين حتى نهاية القرن السادس تأليفاً فى هذا الموضوع .

وهناك موضوع يبدو لى أن الأندلسيين كانوا أول من فتحوا باب التأليف فيه ، وهو موضوع الأعلام الواردة فى القرآن . وصاحب الفضل فى الكتابة فيه هو أبو زيد عبد الرحمن ابن عبد الله السهيلى المالقى (ت ٥٨١) ، مصنف " الروض الأنف " فى شرح سيرة ابن هشام ، إذ ألف أيضاً كتاب

---

(١) الحسن عبد الرحمن القضاعى الرامهرمزى (ت فى نحو ٣٦٠) محدث له كتب منها كتاب الأمثال (ترجمته فى الأعلام لخير الدين الزركلى ١٩٤/٢) . وعباد المذكور هو ابن سرحان المعافرى الشاطبى ، رحل إلى المشرق فسمع من أبى بكر ابن طرخان ، وكانت وفاته بالمغرب سنة ٥٤٣ (ترجمته فى الصلة رقم ٩٧٣) . وأبو بكر محمد بن طرخان التركى فقيه محدث أديب توفى سنة ٥١٣ (ترجمته فى الوافى بالوفيات ١٦٩/٣ .

(٢) فى رواية الكتابين المذكورين انظر الفهرس ص ٧٥ .

" التعريف والإعلام بما أبهم فى القرآن العزيز من الأسماء الأعلام " (١). ولمحمد بن على البلنسى نزيل غرناطة تأليف سماه " الاستدراك على التعريف والإعلام " كان موضعاً لثناء لسان الدين ابن الخطيب(٢). وقد أصبح هذان التأليفان قدوة يحتذى بها المؤلفون المشارقة ، إذ يذكر فى ترجمة الفقيه المحدث بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة الشافعى الحموى قاضى بيت المقدس ومصر (ت ٧٣٣) أن له كتاباً " نحا فيه نحو السهيلى فى التعريف والإعلام " (٣).

***

---

(١) ترجمة السهيلى فى التكملة رقم ١٦١٣ ، وفيات الأعيان ١٤٣/٣ ، الديباج ١٥٠ ، تذكرة الحفاظ ١٣٤٨/٤ ، شذرات الذهب ٢٧١/٤ ، طبقات الداودى ٢٦٦/١ .

(٢) ترجمة محمد بن على الغرناطى فى الإحاطة لابن الخطيب ٣٨/٣ ، الدرر الكامنة لابن حجر العسقلانى ، ط حيدر أباد ٨٩/٤ ، بغية الوعاة ١٩١/١ ، طبقات الداودى ٢١١/٢ . ولم يذكر أحد من مترجميه سنة وفاته ، غير أن من الواضح أنه من رجال القرن السابع .

(٣) ترجمة ابن جماعة فى الدرر الكامنة ٢٨٠/٢ ، طبقات الداودى ٤٨/٢ .

الفصل الخامس

قضية إعجاز القرآن

فى النهاية يلفت نظرنا موضوع استأثر باهتمام المشتغلين بالدراسات القرآنية فى المشرق ، ولكننا لا نكاد نجد له صدى فى الأندلس والمغرب إلا فى فترة متأخرة ، ونعنى به قضية إعجاز القرآن التى كانت مفجرة لعلوم البلاغة ، فكانت محوراً لدراسات كثيرة ابتداءً من الجاحظ فى القرن الثالث حتى عبد القاهر الجرجانى (ت ٤٧١) ، بل تابع العناية بها من واصلوا جهود عبد القاهر مثل الزمخشرى (ت ٥٣٨) وفخر الدين الرازى (ت ٦٠٦) والسكاكى (ت ٦٢٦) والقزوينى (ت ٧٣٩) . وشارك فى هذه الدراسات كثير من علماء العراق والشام ومصر خلال تلك القرون . وأما فى الأندلس فلا نجد للمشتغلين بالدراسات القرآنية اهتماماً بهذه القضية إلا منذ أواخر القرن السادس . ويمكن أن نطلق هذا الحكم أيضاً على الخائضين فى ميدان النقد والبلاغة مثل ابن شهيد (ت ٤٢٦) وابن حزم (ت ٤٥٦) وابن بسام (ت ٥٤٢) .

وقد يبدو هذا الأمر غريباً لأول وهلة ، غير أننا نعتقد أنه كان منتظراً تقضى به طبيعة الحياة الفكرية فى الأندلس . فالذين حملوا عبء البحث فى قضية الإعجاز القرآنى كان معظمهم من المعتزلة : من الجاحظ إلى الزمخشرى مروراً بعدد

كبير من شيوخ الاعتزال [1] . ثم لحق بهم بعض متكلمى أهل السنة ممن تأثروا بمنهج المعتزلة الفكرى مثل أبى بكر محمد بن الطيب الباقلانى الأشعرى (ت ٤٠٣) [2] . وقد سبق أن رأينا كيف كانت عداوة الأندلسيين وأهل المغرب بوجه عام لكل ما كان تشتم منه رائحة الاعتزال ، ولهذا فقد تحاملوا رواية كل تلك المؤلفات المتعلقة بإعجاز القرآن على الرغم مما كان فيها من فوائد . ولم يبدأ انفتاح الفكر الأندلسى على تلك الكتب إلا فى النصف الثانى من القرن السادس حينما أفسح خلفاء الموحدين

---

(١) يكفى أن نشير إلى عدد ممن ألفوا كتباً بعنوان إعجاز القرآن وكانوا من أئمة الاعتزال : محمد بن عمر بن سعيد الباهلى البصرى أستاذ شيخ المعتزلة أبى على الجبائى المتوفى سنة ٣٠٣ (طبقات الداودى ٢/٢١٧) ، محمد بن زيد الواسطى تلميذ أبى على الجبائى وعنوان كتابه " إعجاز القرآن فى نظمه وتأليفه " (الوافى بالوفيات ٣/٨٢ ، طبقات الداودى ٢/١٤٣) ، على بن عيسى الرمانى (ت ٣٨٤) (تاريخ بغداد ١٢/١٦ ، طبقات الداودى ١/٤١٩) ، القاضى عبد الجبار بن أحمد الأسد اباذى (ت ٤١٥) وقد أفرد جزءاً من كتابه " المغنى " لقضية إعجاز القرآن (تاريخ بغداد ١١/١١٣ ، طبقات الداودى ١/٢٥٦) ، محمد بن أبى القاسم بن بابجوك الخوارزمى ، تلميذ الزمخشرى وخليفته فى حلقته (ت٥٦٢) (الوافى بالوفيات ٤/٢٤٠ ، طبقات الداودى ٢/٢٢٠) .

(٢) ترجمته فى الوافى بالوفيات ٣/١٧٧ .

صدورهم للاتجاهات الاعتزالية والأشعرية والفلسفية ، ومع ذلك فقد كان هذا الانفتاح يسوده غير قليل من الحذر ، فنحن نرى أن برامج العلماء الأندلسيين والمغاربة تخلو تماماً من رواية كتابى عبد القاهر الجرجانى المشهورين : دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة . وقد رأينا كيف لقى تفسير الكشاف للزمخشرى معارضة شديدة من جانب فقهاء المالكية على الرغم من اعتراف المعتدلين منهم بما فى كتابه من فوائد قيمة . وإذا كان بعض المشتغلين بعلوم القرآن من أمثال ابن عطية فى تفسيره أو القاضى عياض فى كتاب " الشفا " قد بحثوا قضية الإعجاز القرآنى فإنهم قد اتبعوا فى بحثهم منهجاً سنيا مختلفاً عن مناهج أهل الاعتزال . ولا نجد من يتوفر على دراسة هذه القضية ويفرد لها مؤلفاً خاصاً إلا فى النصف الأول من القرن السابع ، حين نلتقى بشخصية على بن محمد الأنصارى الخزرجى المعروف بابن الحصار ، وهو فاسى إشبيلى الأصل ، كان من تواليفه مقالة فى إعجاز القرآن ، وكانت وفاته فى نحو سنة ٦٢٠ (١).

ثم تبرز بعد ذلك شخصية الأديب الفقيه الأصولى أبى المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة البلنسى (ت٦٥٨) نزيل

---

(١) الذيل والتكملة لابن عبد الملك ، السفر الثامن تحقيق محمد بن شريفة رقم ١٤ ، وصلة الصلة لابن الزبير ، رقم ٢٤٢ .

إفريقية [1]. ولعله أول من كتب فى إعجاز القرآن كتاباً كاملاً هو " التنبيهات على ما فى التبيان من التمويهات " وهو رد على كتاب عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكانى (ت ٦٥١) " التبيان فى علم البيان المطلع على إعجاز القرآن " [2]. والواقع أنه ليس رداً على الزملكانى فقط ، بل هو - كما أوضح الدكتور بن شريفة فى تقديمه للكتاب (ص ٢٥) رد مباشر على الزمخشرى والفخر الرازى وغير مباشر على عبد القاهر الجرجانى .

***

(١) ترجمته فى مصادر كثيرة نذكر منها نفح الطيب ٢٠٥/١ - ٢٢٦ ، وقد اختصه الدكتور محمد بن شريفة بكتاب قيم درس فيه حياته وآثاره ، ط . الرباط ١٩٦٥ .

(٢)نشر الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثى كتاب " التبيان " للزملكانى فى بغداد سنة ١٩٦٤ . وأما كتاب " التنبيهات " لأبى المطرف ابن عميرة فقد حققه الدكتور محمد بن شريفة ونشره فى الدار البيضاء سنة ١٩٩١.

محتويات الكتاب

*****

مطابع الأهرام التجارية - قليوب مصر

ترقبوا..

في العدد القادم ..

رمضان في ديار الإسلام

أ . د . محمد بهى الدين سالم

من سلسلة دراسات إسلامية

يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الثمن ٥٠ قرشاً

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر